كتاب

تحفة المقتصدين

سبيل النجاة

المحفوظات السامية

اختارها ورتبها وأشار إلى كل مقصود بالعنوان

عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد بن سحمان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

طبع هذا الكتاب على نفقة فاعل خير من أهل الصحنة بالدلم أعظم الله له الأجر والمثوبة

وجعله وقفاً لوجه الله تعالى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كتــاب

تحفة المقتصدين، من مدارج السالكين
سبيل النجاة في باب الأسماء والصفات
والمحفوظات السامية، من الكافية الشافية

اختارها ورتبها وأشار إلى كل مقصود بالعنوان
عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن محمد بن سحمان
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

طبع هذا الكتاب على نفقة فاعل خير من أهل الصحنة بالدلم أعظم الله له الأجر والمثوبة وجعله وقفا لوجه الله تعالى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده وعبد ربه حتى أتاه اليقين. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه واتباعه وسلم تسليما كثيرا. أما بعد: فهذه مباحث جليلة، ومسائل مفيدة، اخترتها من مدارج السالكين، بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: تأليف شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية. قدس الله روحه ونور ضريحه. وأسأل الله أن يجعلها معينة لي ولذريتي وإخوتي ولمن قرأها أو سمعها من المسلمين على معرفة ربنا وعبادته وسلوك صراطه المستقيم، فإنه ولي ذلك والقادر عليه وقد سميتها: تحفة المقتصدين، من مدارج السالكين: واعلم أيها الناظر إليها بأن ليس لي فيها إلا الإختيار والإختصار والإشارة إلى المواضيع بالعناوين. وقد جعلت علامة على هذه العناوين بأربعة أقواس على بدايتها ونهايتها صورتها هكذا (( )) وأسأل الله أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم وسببا للفوز لديه في جنات النعيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

بقلم صاحب الاختيار

عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن محمد بن سحمان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

((بيان ما يحصل به كمال الإنسان والدليل على ذلك من القرآن)) ((١))
كمال الانسان. انما هو بالعلم النافع، والعمل الصالح وهما الهدى ودين الحق، وبتكميله لغيره في هذين الأمرين كما قال تعالى ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات. وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ أقسم سبحانه أن كل أحد خاسر إلا من كَمَّل قوته العلمية بالإيمان. وقوته العملية بالعمل الصالح، وكمل غيره بالتوصية بالحق والصبر عليه. فالحق هو الإيمان والعمل، ولا يتم إلا بالصبر عليهما، والتواصي بهما - كان حقيقا بالإنسان أن ينفق ساعات عمره بل أنفاسه فيما ينال به المطالب العالية، ويخلص به من الخسران المبين. وليس ذلك إلا بالإقبال على القرآن وتفهمه وتدبره واستخراج كنوزه وإثارة دفائنه وصرف العناية اليه والعكوف بالهمة عليه. فانه الكفيل بمصالح العباد في المعاش والمعاد. والموصل لهم إلى سبيل الرشاد. والله المستعان، وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

((٢)) ((أجلُّ وأفضل أقسام الناس في العبادة والاستعانة)) أجلُّ وأفضل أقسام الناس في العبادة والاستعانة هم أهل العبادة والاستعانة بالله عليها. فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها. ولهذا كان من أفضل ما يُسأل الرب تبارك وتعالى الإعانة على مرضاته، وهو الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم لحبه مُعاذ بن جبل رضي الله عنه فقال يا معاذ والله إني لأحبك فلا تنس أن تقول في دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك فأنفع الدعاء: طلب العون على مرضاته. وأفضل المواهب: إسعافه بهذا المطلوب. وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا، وعلى دفع ما يضاده، وعلى تكميله وتيسير أسبابه فتأملها. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه تأملت انفع الدعاء: فاذا هو سؤال العون على مرضاته ثم رأيته في الفاتحة في ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ومقابل هؤلاء: القسم الثاني. وهم المعرضون عن عبادته والاستعانة به فلا عبادة ولا استعانة. بل إن سأله أحد واستعان به،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فعلى حظوظ شهواته، لا على مرضاة ربه فانه سبحانه يسأله من في السموات والأرض: يسأله أولياؤه وأعداؤه ويَمُد هؤلاء وهؤلاء. وأبغض خلقه: عدوه إبليس، ومع هذا فقد سأله حاجة فأعطاه إياها ومتعه بها. ولكن لما لم تكن عونا له على مرضاته. كانت زيادة في شقوته، وبعده عن الله وطرده عنه. وهكذا كل من استعان به على أمر وسأله اياه، ولم يكن عونا على طاعته: كان مبعدا له عن مرضاته، قاطعا له عنه ولابد. وليتأمل العاقل هذا في نفسه وفي غيره وليعلم أن اجابة الله لسائليه ليست لكرامة السائل عليه، بل يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه وشقوته. ويكون قضاؤها له من هوانه عليه وسقوطه من عينه. ويكون منعه منها لكرامته عليه ومحبته له. فيمنعه حماية وصيانة وحفظا، لا بخلا وهذا انما يفعله بعبده الذي يريد كرامته ومحبته ويعامله بلطفه. فيظن بجهله أن الله لا يحبه ولا يكرمه ويراه يقضي حوائج غيره، فيسيء ظنه بربه. وهذا حشو قلبه ولا يشعر به. والمعصوم من عصمه الله والإنسان على نفسه بصيرة، وعلامة هذا: حمله على الأقدار وعتابه الباطن لها.

فاحذر كل الحذر أن تسأله شيئا مُعَيَّنا خيرتهُ وعاقبتُه مغيبة عنك. وإذا لم تجد من سؤاله بدأً فعلقه على شرط علمه تعالى فيه الخيره. وقدم بين يدي سؤالك الإستخارة. ولا تكن استخارة باللسان بلا معرفة، بل استخارة من لا علم له بمصالحه، ولا قدرة له عليها، ولا اهتداء له إلى تفاصيلها. ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا. بل إن وكل إلى نفسه هلك كل الهلاك وانفرط عليه أمره وإذا أعطاك ما أعطاك بلا سؤال: فاسأله أن يجعله عونا لك على طاعته وبلاغا إلى مرضاته ولا يجعله قاطعا لك عنه، ولا مبعدا عن مرضاته.

ولا تظن أن عطاءه كل ما أعطى لكرامة عبده عليه، ولا منعهُ كل ما يمنعه لهوان عبده عليه، ولكن عطاؤه ومنعه ابتلاء وامتحان، يمتحن به عباده. قال الله تعالى ﴿فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن. وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن. كلا﴾ أي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ليس كل من أعطيته ونعمته وخولته: فقد أكرمته، وما ذاك لكرامته علي. ولكنه ابتلاء مني وامتحان له: أيشكرني فأعطيه فوق ذلك، أم يكفر بي فأسلبه إياه. وأخول فيه غيره. وليس كل من ابتليته فضيقت عليه رزقه وجعلته بقدر لا يفضل عنه، فذلك من هوانه علي، ولكنه ابتلاء وامتحان مني له: أيصبر فأعطيه أضعاف أضعاف ما فاته من سعة الرزق أم يتسخط فيكون حظه السخط. فرد الله سبحانه على من ظن أن سعة الرزق إكرام، وان الفقر اهانة، فقال: (لم أبتل عبدي بالغنى لكرامته علي، ولم ابتله بالفقر لهوانه علي فاخبر أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره. فإنه سبحانه يوسع على الكافر لا لكرامته، ويُقَتِّر على المؤمن لا لإهانته. انما يكرم من يكرمه بمعرفته ومحبته وطاعته، ويهين من يهينه بالإعراض عنه ومعصيته. فله الحمد على هذا وعلى هذا وهو الغني الحميد. فعادت سعادة الدنيا والآخرة إلى ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾

((معنى التوكل والاستعانة)) ((٣))

هو حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله، والايمان بتفرده بالخلق، والتدبير والضر والنفع، والعطاء والمنع، وأنه ما شاء كان، وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن، وإن شاء الناس. فيوجب له اعتمادا عليه وتفويضا إليه وطمأنينة به وثقة به، ويقينا بكفايته لما توكل عليه فيه وأنه مليء به، ولا يكون إلا بمشيئته شاءه الناس أم أبوه. ومن كان هكذا مع الله، فالله كافيه ولابد قال الله تعالى ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ أي كافيه والحسب، الكافي. فان كان مع هذا من أهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة

((٤)) ((متى يكون العبد متحققا (اياك نعبد) واقسام الناس في ذلك)) لا يكون العبد متحققا (اياك نعبد) إلا بأصلين عظيمين. احدهما: متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم والثاني: الاخلاص للمعبود. فهذا تحقيق (اياك نعبد) والناس منقسمون بحسب هذين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأصلين أيضاً إلى أربعة أقسام أحدها: أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة. وهم أهل (اياك نعبد) حقيقة. فأعمالهم كلها لله وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله، ومنعهم لله، وحبهم لله، وبغضهم لله.

فمعاملتهم ظاهرا وباطنا لوجه الله وحده. لا يريدون بذلك من الناس جزاء ولا شكورا، ولا ابتغاء الجاه عندهم، ولا طلب المحمدة والمنزلة في قلوبهم، ولا هربا من ذمهم. بل قد عَدُّوا الناس بمنزلة أصحاب القبور، لا يملكون لهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا. فالعمل لأجل الناس، وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم ورجائهم للضر والنفع منهم: لا يكون من عارف بهم البتة، بل من جاهل بشأنهم، وجاهل بربه. فمن عرف الناس انزلهم منازلهم. ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله، وعطاه ومنعه وحبه وبغضه. ولا يعامل أحد الخلق دون الله إلا لجهله بالله وجهله بالخلق، وإلا فاذا عرف الله وعرف الناس آثر معاملة الله على معاملتهم.

وكذلك أعمالهم كلها وعبادتهم موافقة لأمر الله، ولما يحبه ويرضاه وهذا هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل سواه. وهو الذي بلا عباده بالموت والحياة لأجله. قال الله تعالى ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ وجعل ما على الأرض زينة لها ليختبرهم ايهم احسن عملا. قال الفضيل بن عياض: العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه. قالوا يا أبا علي ما أخلصة وأصوبه. قال: إن العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل. وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا. والخالص ما كان لله. والصواب ما كان على السنة. وهذا هو المذكور في قوله تعالى ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ وفي قوله ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾ فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه، على متابعة أمره، وما عدا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذلك فهو مردود على عامله يرد عليه أحوج ما هو إليه. هباء منثورا.
وفي الصحيح من حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم (كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد) وكل عمل بلا اقتداء فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعدا. فان الله تعالى انما يعبد بأمره، لا بالأراء والأهواء

★ ★ ★ ★ ★

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فصـــل

الضرب الثـاني(١) من لا إخلاص له ولا متابعة. فليس عمله موافقا للشرع، وليس هو خالصا للمعبود، كأعمال المتزينين للناس المرائين لهم بما لم يشرعه الله ورسوله، وهؤلاء شرار الخلق، وامقتهم إلى الله عز وجـل. ولهم أوفـر نصيب من قولـه ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتو ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العـذاب ولهم عذاب أليم﴾ يفـرحون بما أتوا من البدعة والضلالة والشرك ويحبون أن يحمدوا باتباع السنة والإخلاص.

وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف من المنتسبين إلى العلم والفقر والعبادة ـ عن الصراط المستقيم. فانهم يرتكبون البدع والضلالات، والرياء والسمعة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوه من الإتباع والإخلاص والعلم فهم أهل الغضب والضلال.

---

(١) هذا هو القسم الثاني من الأقسام الأربعة التي انقسم اليها الناس وهكذا قال في القسم الثالث والرابع فتنبه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فصـــل

الضرب الثالث: من هو مخلص في أعماله، لكنها على غير متابعة الأمـر كجهـال العبـاد والمنتسبين إلى طريق الزهد والفقر، وكل من عبدالله بغير أمره واعتقد عبادته هذه قربة الى الله فهذا حاله. كمن يظن أن سماع المكاء والتصدية قربة وأن الخلوة التي يترك فيها الجمعة والجماعة قربة. وأن مواصلة صوم النهار بالليل قربة، وأن صيام يوم فطر الناس كلهم قربة. وأمثال ذلك.

★ ★ ★ ★ ★

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

الضرب الـرابـع: من أعـماله على متابعة الأمر. لكنها لغير الله كطاعـة المرائين، وكالرجل يقاتل رياء وحمية وشجاعة ويحج ليقال، ويقرأ ليقال. فهؤلاء أعمالهم ظاهرها أعمال صالحة مأمور بها، لكنها غير صالحة. فلا تقبل.

﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ فكل احد لم يؤمر إلا بعبادة الله بما أمر. والإخلاص له في العبادة. وهم: أهل ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾.

((أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص)) ((٥))

أهل مقام (اياك نعبد) في ذلك أربعة أصناف:

الصنف الأول: عندهم أنفع العبادات وأفضلها: أشقها على النفوس وأصعبهـا. قالوا: لأنه أبعد الأشياء عن هواها وهو حقيقة التعبد. وهؤلاء هم أهل المجاهدات والجور على النفوس.

الصنف الثاني: قالوا أفضل العبادات التجرد والزهد في الدنيا والتقلل منها غاية الإمكان، واطراح الإهتمام بها. وعدم الاكتراث بكل ما هو منها.

الصنف الثالث: رؤا أنفع العبادات وأفضلها: ما كان فيه نفع متعد. فرأوه أفضـل من ذي النفع القاصر. فرؤا خدمة الفقراء والاشتغال بمصـالـح الناس وقضاء حوائجهم ومساعدتهم بالمال والجاه والنفع أفضل فتصدوا له وعملوا عليه.

الصنف الرابع: قالوا إن أفضل العبادة: العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته. فأفضل العبادات في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقت الجهاد: الجهاد، وإن آل إلى ترك الأوراد، من صلاة الليل وصيام النهار. بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن.

والأفضل في وقت حضور الضيف مثلا: القيام بحقه والاشتغال به عن الورد المستحب. وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل.

والأفضل في أوقات السحر: الاشتغال بالصلاة والقرآن والدعاء والذكر والإستغفار.

والأفضل في وقت استرشاد الطالب، وتعليم الجاهل: الإقبال على تعليمه والإشتغال به.

والأفضل في أوقات الآذان: ترك ما هو فيه من ورده والإشتغال بإجابة المؤذن.

والأفضل في أوقات الصلوات الخمس: الجد والنصح في ايقاعها على أكمل الوجوه، والمبادرة إليها في أول الوقت، والخروج إلى الجامع. وان بعد كان أفضل.

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه، أو البدن، أو المال: الإشتغال بمساعدته، واغاثة لهفته، وإيثار ذلك على أورادك وخلوتك.

والأفضل في وقت قراءة القرآن: جمعية القلب والهمة على تدبره وتفهمه، حتى كأن الله تعالى يخاطبك به. فتجمع قلبك على فهمه وتدبره، والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك.

والأفضل في وقت الوقوف بعرفة: الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر دون الصوم والضعف عن ذلك.

والأفضل في أيام عشر ذي الحجة: الإكثار من التعبد، لاسيما التكبير والتهليل والتحميد. فهو أفضل من الجهاد غير المتعين.

والأفضل في العشر الأخير من رمضان: لزوم المسجد فيه والخلوة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والإعتكاف دون التصدي لمخالطة الناس والإشتغال بهم، حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم، واقرائهم القرآن عند كثير من العلماء.

والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته: عيادته وحضور جنازته وتشييعه، وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك.

والأفضل في وقت نزول النوازل وأذاة الناس لك: أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم، دون الهرب منهم. فإن المؤمن الذي يخالط الناس ليصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه.

والأفضل خلطتهم في الخير. فهي خير من اعتزالهم فيه واعتزالهم في الشر، فهو أفضل من خلطتهم فيه. فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله أو قلله فخلطتهم حينئذٍ أفضل من اعتزالهم. فالأفضل في كل وقت وحال: إيثار مرضات الله في ذلك الوقت والحال. والإشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه.

وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق. والأصناف قبلهم أهل التعبد المقيد. فمتى خرج أحدهم عن النوع الذي تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقص وترك عبادته.

فهو يعبد الله على وجه واحد. وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره، بل غرضه تتبع مرضات الله تعالى أين كانت. فمدار تعبده عليها فهو لا يزال متنقلا في منازل العبودية، كلما رفعت له منزلة عمل على سيره إليها، واشتغل بها حتى تلوح منزلة أخرى. فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره. فإن رأيت العلماء رأيته معهم. وان رأيت العباد رأيته معهم وان رأيت المجاهدين رأيته معهم. وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم. وإن رأيت المتصدقين المحسنين رأيته معهم. فهذا هو العبد المطلق، الذي لم تملكه الرسوم ولم تقيده القيود، ولم يكن عمله على مراد نفسه وما فيه لذتها وراحتها من العبادات. بل هو على مراد ربه، ولو كانت راحة نفسه ولذتها في سواه. فهذا هو المتحقق بإياك نعبد وإياك نستعين حقا، القائم بها صدقا. ملبسه ما تهيأ. ومأكله ما تيسر. واشتغاله

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بما أمر الله به في كل وقت بوقته. ومجلسه حيث انتهى به المكان. حر مجرد دائر مع الأمر حيث دار. يدين بدين الآمر أنى توجهت ركائبه. ويدور معه حيث استقلت مضاربه. يأنس به كل محق. ويستوحش منه كل مبطل. كالغيث حيث وقع نفع وكالنخلة لا يسقط ورقها. وكلها منفعة حتى شوكها وهو موضع الغلظة منه على المخالفين لأمر الله، والغضب إذا انتهكت محارم الله. فهو لله وبالله ومع الله. قد صحب الله بلا خلق، وصحب الناس بلا نفس. بل إذا كان مع الله عزل الخلائق عن البين، وتخلى عنهم. وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها فواهاً له ما أغربه بين الناس. وما أشد وحشته منهم. وما أعظم أنسه بالله وفرحه به وطمأنينته وسكونه إليه. والله المستعان وعليه التكلان.

(الصراط المستقيم في منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها) (٦)

الصراط المستقيم، الذي فطر الله عليه عباده وجاءت به الرسل ونزلت به الكتب. هو أن الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب والعقاب. مقتضية لها كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها. وإن الأعمال الصالحة من توفيق الله وفضله ومنه وصدقته على عبده. إذ أعانه عليها ووفقه لها، وخلق فيه إرادتها والقدرة عليها، وحببها إليه وزينها في قلبه وكرَّه اليه اضدادها. ومع هذا فليست ثمنا لجزائه وثوابه ولا هي على قدره بل غايتها ـ إذا بذل العبد فيها نصحه وجهده وأوقعها على أكمل الوجوه ـ أن تقع شكرا له على بعض نعمه عليه، فلو طالبه بحقه لبقي عليه من الشكر على تلك النعمة بقية لم يقم بشكرها. فلذلك لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم. ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم. كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. ولهذا نفى النبي صلى الله عليه وسلم دخول الجنة بالعمل كما قال. «لن يدخل أحدا منكم الجنة عملُه[1]» قالوا ولا أنت

---

(١) وفي لفظ: لن يدخل احد منكم الجنة بعمله. وفي لفظ: لن ينجي احداً منكم عمله صح

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يا رسول الله. قال ولا أنا، إلا أن يتغمدني برحمة منه وفضل وأثبت سبحانه دخول الجنة بالعمل كما في قوله ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ ولا تنافي بينهما. اذ توارد النفي والإثبات ليس على معنى واحد. فالمنفي استحقاقها بمجرد الأعمال، وكون الأعمال ثمنا وعوضا لها، ردا على القدرية المجوسية، التي زعمت أن التفضل بالثواب ابتداء متضمن لتكرير المنة. وهذه الطائفة من أجهل الخلق بالله وأغلظهم عنه حجابا. وحُقَّ لهم أن يكونوا مجوس هذه الأمة. ويكفي في جهلهم بالله أنهم لم يعلموا أن أهل سمواته وأرضه في منته، وان من تمام الفرح والسرور والغبطة واللذة: اغتباطهم بمنة سيدهم ومولاهم الحق، وانهم انما طاب لهم عيشهم بهذه المنة. وأعظمهم منه منزلة وأقربهم اليه. أعرفهم بهذه المنة وأعظمهم اقرارا بها، وذكرا لها وشكرا عليها، ومحبة له لأجلها. فهل يتقلب أحد إلا في منته ﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾. واحتمال منة المخلوق: إنما كانت نقصا لأنه نظيره. فإذا من عليه استعلى عليه، ورأى الممنون عليه نفسه دونه. هذا مع أنه ليس في كل مخلوق، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم المنة على أمته، وكان أصحابه يقولون الله ورسوله أَمَنُّ. ولا نقص في منة الوالد على ولده، ولا عار عليه في احتمالها. وكذلك السيد على عبده. فكيف برب العالمين الذي انما يتقلب الخلائق في بحر منته عليهم، ومحض صدقته عليهم، بلا عوض منهم البتة. وإن كانت أعمالهم أسبابا لما ينالونه من كرمه وجوده. فهو المنان عليهم. بأن وفقهم لتلك الأسباب وهداهم لها، وأعانهم عليها، وكملها لهم، وقبلها منهم على ما فيها. وهذا هو المعنى الذي أثبت به دخول الجنة في قوله (بما كنتم تعملون). فهذه باء السببية ردا على القدرية والجبرية، الذين يقولون: لا ارتباط بين الأعمال والجزاء، ولا هي أسباب له. وانما غايتها أن تكون امارات. فالنصوص مبطلة لقول هؤلاء كما هي مبطلة لقول أولئك. وأدلة المعقول والفطرة ايضا تبطل قول الفريقين. وتبين لمن له قلب ولب: مقدار قول أهل السنة. وهم الفرقة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوسط. المثبتون لعموم مشيئة الله، وقدرته، وخلقه العباد وأعمالهم ولحكمته التامة المتضمنة ربط الأسباب بمسبباتها، وانعقادها بها شرعا وقدرا، وترتيبها عليها عاجلا وآجلا وكل واحدة من الطائفتين المنحرفتين تركت نوعا من الحق وارتكبت لأجله نوعا من الباطل، بل أنواعا. وهدى الله أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ﴿والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم﴾ و﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾.

(٧) (الحكمة في خلق الجن والإنس، . وأصل العبادة ومتى تتحقق)

قد صرح الله تعالى بهذا في قوله ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فالعبادة: هي الغاية التي خُلق لها الجن والإنس والخلائق كلها قال الله تعالى ﴿ايحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ أي مهملا قال الشافعي لا يؤمر ولا ينهى، وقال غيره: لا يثاب ولا يعاقب والصحيح الأمران. فان الثواب والعقاب مترتبان على الأمر والنهي. والأمر والنهي طلب العبادة وارادتها. وحقيقة العبادة امتثالها. وقال تعالى ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ وقال ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ وقال ﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت﴾ فأخبر أنه خلق السموات والأرض بالحق، المتضمن أمره ونهيه وثوابه وعقابه. فاذا كانت السموات والأرض وما بينهما خلقت لهذا، وهو غاية الخلق، فكيف يقال: انه لا علة له ولا حكمة مقصودة هي غايته. أو ان ذلك لمجرد استئجار العباد حتى لا ينكد عليهم الثواب بالمنة، أو لمجرد استعداد النفوس للمعارف العقلية، وارتباطها بمخالفة العوائد.

فليتأمل اللبيب الفرقان بين هذه الأقوال، وبين ما دل عليه صريح الوحي يجد أن أصحاب هذه الأقوال ما قدروا الله حق قدره، ولا عرفوه حق معرفته.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالله تعالى انما خلق الخلق لعبادته، الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد لأمره.

فأصل العبادة: محبة الله، بل افراده بالمحبة، وأن يكون الحب كله لله، فلا يحب معه سواه، وانما يحب لأجله وفيه كما يحب أنبيائه ورسله وملائكته وأولياءه. فمحبتنا لهم من تمام محبته، وليست محبة معه، كمحبة من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحبه.

وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها. فهي انما تتحقق باتباع أمره، واجتناب نهيه. فعند اتباع الأمر واجتناب النهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة. ولهذا جعل تعالى اتباع رسوله علما عليها، وشاهدا لمن ادعاها فقال تعالى ﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ فجعل اتباع رسوله مشروطا بمحبتهم لله وشرطاً لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون وجود شرطه وتحققه بتحققه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة. فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله، وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم. فيستحيل إذاً ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله.

ودل على أن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم: هي حب الله ورسوله وطاعة أمره. ولا يكفي ذلك في العبودية، حتى يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما. فلا يكون عنده شيء أحب إليه من الله ورسوله. ومتى كان عنده شيء أحب اليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله لصاحبه البتة، ولا يهديه الله قال الله تعالى ﴿قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾.

فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله أو مرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله، أو خوف احد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليه، أو معاملة أحدهم على معاملة الله: فهو ممن ليس الله ورسوله احب اليه مما سواهما. وان قاله بلسانه فهو كذب منه، واخبار بخلاف ما هو عليه. وكذلك من قدم حكم أحد على حكم الله ورسوله. فذلك المقدَّم عنده أحبُّ إليه من الله ورسوله.

القواعد الأربع التي بني عليها (اياك نعبد وتفصيله) (٨)

بني [اياك نعبد] على أربع قواعد: التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه من قول اللسان والقلب، وعمل القلب والجوارح. فالعبودية: اسم جامع لهذه المراتب الأربع. فأصحاب (اياك نعبد) حقا هم أصحابها.

فقول القلب: هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه على لسان رسله وقول اللسان: الأخبار عنه بذلك والدعوة اليه، والذب عنه، وتبيين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكره وتبليغ أمره.

وعمل القلب: كالمحبة له، والتوكل عليه، والانابة إليه والخوف منه والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره، وعن نواهيه، وعلى أقداره، والرضى به وعنه والموالاة فيه والمعاداة فيه، والذل له والخضوع والإخبات اليه والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرضها أفرض من أعمال الجوارح، ومستحبها أحب الى الله من مستحبها. وعمل الجوارح بدونها اما عديم المنفعة أو قليل المنفعة.

وأعمال الجوارح: كالصلاة والجهاد، ونقل الأقدام الى الجمعة والجماعات، ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك. فإياك نعبد التزام لأحكام هذه الأربعة واقرار بها، (واياك نستعين) طلب للاعانة عليها والتوفيق لها، و(اهدنا الصراط المستقيم) متضمن للتعريف بالأمرين على التفصيل، وإلهام القيام بهما وسلوك طريق السالكين الى الله بهما.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٩ «أقسام العبودية لله»

العبودية نوعان: عامة، وخاصة.

فالعبودية العامة: عبودية أهل السموات والأرض كلهم لله برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم. فهذه عبودية القهر والملك قال تعالى ﴿ان كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا﴾ فهذا يدخل فيه مؤمنهم وكافرهم.

وأما النوع الثاني: فعبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر قال تعالى ﴿يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ وقال تعالى عن ابليس ﴿لأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلصين﴾ فقال تعالي عنهم ﴿ان عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ فالخلق كلهم عبيد ربوبيته. وأهل طاعته وولايته هم عبيد إلهيته. ولا يجيء في القرآن اضافة العباد إليه مطلقا إلا لهؤلاء.

وانما انقسمت العبودية إلى خاصة وعامة، لأن أصل معنى اللفظة الذل والخضوع. يقال (طريق معبد) اذا كان مذللا بوطأ الأقدام وفلان عبده الحب إذا ذلله. لكن أولياؤه خضعوا له وذلوا طوعا واختيارا وانقيادا لأمره ونهيه وأعداؤه خضعوا له قهرا ورغما. فكل أحد خاضع لربوبيته، ذليل لعزته. مقهور تحت سلطانه تعالى.

١٠ «مراتب إياك نعبد علما وعملا»

للعبودية مراتب، بحسب العلم والعمل. فأما مراتبها العلمية فمرتبتان: احداهما: العلم بالله. والثانية العلم بدينه. فأما العلم به سبحانه، فخمس مراتب: العلم بذاته، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وتنزيهه عما لا يليق به. والعلم بدينه مرتبتان: احداهما: دينه الأمري الشرعي. وهو الصراط المستقيم الموصل اليه.

والثانية: دينه الجزائي، المتضمن ثوابه وعقابه. وقد دخل في هذا العلم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العلم بملائكته وكتبه ورسله.

وأما مراتبها العملية: فمرتبتان: مرتبة لأصحاب اليمين ومرتبة للسابقين المقربين. فأمار مرتبة أصحاب اليمين فأداء الواجبات، وترك المحرمات، مع ارتكاب المباحات وبعض المكروهات، وترك بعض المستحبات.

وأما مرتبة المقربين: فالقيام بالواجبات والمندوبات. وترك المحرمات والمكروهات، زاهدين فيما لا ينفعهم في معادهم متورعين عما يخافون ضرره. وخاصتهم: قد انقلبت المباحات في حقهم طاعات وقربات بالنية. فليس في حقهم مباح مستوي الطرفين، بل كل أعمالهم راجحة. ومن دونهم يترك المباحات مشتغلا عنها بالعبادات. وهؤلاء يأتونها طاعات وقربات. ولأهل هاتين المرتبتين درجات لا يحصيها إلا الله.

(١١) (القواعد الخمس عشرة التي تدور عليها رحى العبودية)

رحى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة. من كملها كمل مراتب العبودية. وبيانها: ان العبودية منقسمة على القلب، واللسان، والجوارح. وعلى كل منها عبودية تخصه. والأحكام التي للعبودية خمسة واجب، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح، وهي لكل واحد من القلب واللسان والجوارح.

فواجب القلب: منه متفق على وجوبه، ومختلف فيه فالمتفق على وجوبه: كالإخلاص والتوكل والمحبة والصبر والإنابة والخوف والرجاء، والتصديق الجازم، والنية في العبادة وهذه قدر زائد على الإخلاص. فان الإخلاص: هو إفراد المعبود عن غيره. ونية العبادة لها مرتبتان. إحداهما: تمييز العبادة عن العادة. والثانية: تمييز مراتب العبادات بعضها عن بعض. والأقسام الثلاثة واجبة. وكذلك الصدق. والفرق بينه وبين الإخلاص: أن للعبد مطلوبا وطلبا، فالإخلاص: توحيد مطلوبه. والصدق: توحيد طلبه. فالاخلاص: أن لا يكون المطلوب منقسما. والصدق: أن لا يكون الطلب منقسما. فالصدق: بذل الجهد. والإخلاص: افراد المطلوب.

واتفقت الأمة على وجوب هذه الأعمال على القلب من حيث الجملة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكذلك النصح في العبودية. ومدار الدين عليه. وهو بذل الجهد في ايقاع العبودية على الوجه المحبوب للرب المرضي له.

وأصل هذا واجب. وكماله مرتبة المقربين. وكذلك كل واحد من هذه الواجبات القلبية له طرفان. واجب مستحق وهو مرتبة أصحاب اليمين. وكمال مستحب. وهو مرتبة المقربين. وكذلك الصبر واجب باتفاق الأمة. قال الإمام احمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعاً من القرآن أو بضعا وتسعين، وله طرفان ايضا: واجب مستحق، وكمال مستحب. وأما المختلف فيه. فكالرضاء. فان في وجوبه قولين للفقهاء والصوفية. والقولان لأصحاب أحمد. فمن أوجبه قال: السخط حرام. ولا خلاص عنه إلا بالرضاء. ومالا خلاص عن الحرام إلا به فواجب.

ومن قال هو مستحب، قال لم يجيء الأمر به في القرآن ولا في السنة. بخلاف الصبر فان الله أمر به في مواضع كثيرة من كتابه. وأما الرضاء: فانما جاء في القرآن مدح أهله والثناء عليهم لا الأمر به. قالوا: وأما قولكم لا خلاص عن السخط إلا به. فليس بلازم. فان مراتب الناس في المقدور ثلاثة: الرضا وهو أعلاها، والسخط. وهو أسفلها، والصبر عليه بدون الرضا به. وهو أوسطها. فالأولى للمقربين السابقين. والثالثة للمقتصدين. والثانية للظالمين. وكثير من الناس يصبر على المقدور فلا يسخط وهو غير راض به. فالرضا أمر آخر.

وقد اشكل على بعض الناس اجتماع الرضا مع التألم، وظن أنهما متباينان وليس كما ظنه. فالمريض الشارب للدواء الكريه متألم به راض به، والصائم في شهر رمضان في شدة الحر متألم بصومه راض به، والبخيل متألم بإخراج زكاة ماله راض بها فالتألم كما لا ينافي الصبر لا ينافي الرضا به.

وهذا الخلاف بينهم، انما هو في الرضا بقضائه[1] الكوني، وأما الرضا به ربا وإلهاً، والرضى بأمره الديني: فمتفق على فرضيته بل لا يصير العبد

---

(١) لعل العبارة (المقضي) تنبه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مسلما إلا بهذا الرضا: أن يرضى بالله ربا وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا.

ومن هذا أيضاً اختلافهم في الخشوع في الصلاة. وفيه قولان للفقهاء، وهما في مذهب احمد وغيره.

وعلى القولين اختلافهم في وجوب الاعادة على من غلب عليه الوسواس في صلاته. فأوجبها ابن حامد من اصحاب أحمد وأبو حامد الغزالي في إحيائه، ولم يوجبها أكثر الفقهاء.

والقصد: ان هذه الأعمال ـ واجبها ومستحبها ـ هي عبودية القلب. فمن عطلها فقد عطل عبودية الملك، وان قام بعبودية رعيته من الجوارح.

والمقصود: أن يكون ملك الأعضاء ـ وهو القلب ـ قائما بعبوديته لله سبحانه هو ورعيته.

وأما المحرمات التي عليه: فالكبر، والرياء، والعجب، والحسد، والغفلة، والنفاق. وهي نوعان كفر، ومعصية. فالكفر: كالشك والنفاق والشرك، وتوابعها. والمعصية: نوعان كبائر، وصغائر. فالكبائر: كالرياء والعجب والكبر والفخر والخيلاء والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والفرح والسرور بأذى المسلمين والشماتة بمصيبتهم، ومحبة أن تشيع الفاحشة فيهم وحسدهم على ما آتاهم الله من فضله، وتمنى زوال ذلك عنهم، وتوابع هذه الأمور التي هي أشد تحريما من الزنا وشرب الخمر وغيرهما من الكبائر الظاهرة. ولا صلاح للقلب ولا للجسد إلا باجتنابها، والتوبة منها. وإلا فهو قلب فاسد. واذا فسد القلب فسد البدن. وهذه الافات انما تنشأ من الجهل بعبودية القلب، وترك القيام بها. فوظيفة (اياك نعبد) على القلب قبل الجوارح فاذا جهلها وترك القيام بها امتلأ باضدادها ولابد. وبحسب قيامه بها يتخلص من أضدادها. وهذه الأمور ونحوها قد تكون صغائر في حقه وقد تكون كبائر، بحسب قوتها وغلظها، وخفتها ودقتها.

ومن الصغائر ايضا: شهوة المحرمات وتمنيها. وتفاوت درجات الشهوة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في الكبر والصغر، بحسب تفاوت درجات المشتهى. فشهوة الكفر والشرك: كفر. وشهوة البدعة: فسق. وشهوة الكبائر: معصية. فان تركها لله مع قدرته عليها أثيب. وان تركها عجزا بعد بذله مقدوره في تحصيلها: استحق عقوبة الفاعل، لتنزيله منزلته في أحكام الثواب والعقاب، وان لم ينزل منزلته في احكام الشرع. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. قالوا: هذا القاتل يا رسول الله. فما بال المقتول قال: انه كان حريصا على قتل صاحبه: فنزله منزلة القاتل، لحرصه على قتل صاحبه، في الإثم دون الحكم. وله نظائر كثيرة في الثواب والعقاب. وقد علم بهذا، مستحب القلب ومباحه.

★ ★ ★

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

وأمـا عبودية اللسان الخمس. فواجبها: النطق بالشهادتين وتلاوة ما يلزمـه تلاوتـه من القـرآن. وهـو ما تتوقف صحة صلاته عليه، وتلفظه بالأذكار الواجبة في الصلاة التي أمر الله بها ورسوله صلى الله عليه وسلم، كما أمـر بالتسبيح في الركوع والسجود، وأمر بقول ربنا ولك الحمد بعد الإعتدال، وأمر بالتشهد، وأمر بالتكبير. ومن واجبه: رد السلام. وفي ابتـدائـه قولان. ومن واجبـه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الجاهل، وارشاد الضال، وأداء الشهادة المتعينة، وصدق الحديث.

وأما مستحبه: فتلاوة القرآن، ودوام ذكر الله، والمذاكرة في العلم النافع وتوابع ذلك.

وأمـا محرمـه: فهو النطق بكل ما يبغضه الله ورسوله كالنطق بالبدع المخـالفـة لما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، والدعاء اليها، وتحسينها وتقويتها، وكالقذف وسب المسلم وأذاه بكل قول. والكذب، وشهادة الزور، والقول على الله بلا علم. وهو أشدها تحريما.

ومكروهه: التكلم بما تركه خير من الكلام به مع عدم العقوبة عليه. وقد اختلف السلف: هل في حقه كلام مباح، متساوي الطرفين. على قولين ذكرهما ابن المنذر وغيره.

والتحقيق: ان حركـة اللسان بالكلام لا تكون متساوية الطرفين بل اما راجحة واما مرجوحة. لأن للسان شأنا ليس لسائر الجوارح.

* * * * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فصـــل

وأما العبوديات الخمس على الجوارح: فعلى خمس وعشرين مرتبة ايضا. اذ الحواس خمسة. وعلى كل حاسة خمس عبوديات فعلى السمع: وجوب الانصات، والاستماع لما أوجبه الله ورسوله عليه، من استماع الإسلام والإيمان وفروضهما، وكذلك استماع القراءة في الصلاة إذا جهر بها الإمام، واستماع الخطبة للجمعة، في اصح قولي العلماء. ويحرم عليه: استماع الكفر والبدع، إلا حيث يكون في استماعه مصلحة راجحة: من رده، أو شهادة على قائله، أو زيادة قوة الإيمان والسنة بمعرفة ضدهما من الكفر والبدعة ونحو ذلك وكاستماع أسرار من يهرب عنك بسره. ولا يحب أن يطلعك عليه، مالم يكن متضمنا لحق لله يجب القيام به، أو لأذى مسلم يتعين نصحه، وتحذيره منه.

وكذلك استماع أصوات النساء الأجانب التي تخشى الفتنة بأصواتهن إذا لم تدع إليه حاجة: من شهادة، أو معاملة، أو استفتاء، أو محاكمة، أو مداواة ونحوها.

وكذلك استماع المعازف، وآلات الطرب واللهو، كالعود والطنبور واليراع ونحوها. ولا يجب عليه سد أذنه إذا سمع الصوت وهو لا يريد استماعه، إلا اذا خاف السكون إليه والإنصات. فحينئذٍ يجب لتجنب سماعها وجوب سد الذرائع، ونظير هذا المحرم: لا يجوز له تعمد شم الطيب. واذا حملت الريح رائحته وألقتها في مشامه لم يجب عليه سد أنفه.

ونظير هذا: نظرة الفجاءة لا تحرم على الناظر، وتحرم عليه النظرة الثانية اذا تعمدها.

وأما السمع المستحب: فكاستماع المستحب من العلم، وقراءة القرآن، وذكر الله، واستماع كل ما يحبه الله، وليس بفرض والمكروه: عكسه. وهو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

استماع كل ما يكره ولا يعاقب عليه والمباح: ظاهر.

وأما النظر الواجب: فالنظر في المصحف، وكتب العلم عند تعين تعلم الواجب منها، والنظر اذا تعين لتمييز الحلال من الحرام في الأعيان التي يأكلها أو ينفقها أو يستمتع بها، والأمانات التي يؤديها إلى أربابها ليميز بينها ونحو ذلك.

والنظر الحرام: النظر إلى الأجنبيات بشهوة مطلقا، وبغيرها إلا لحاجة، كنظر الخاطب، والمستام والعامل والشاهد والحاكم، والطبيب، وذي المحرم.

والمستحب: النظر في كتب العلم والدين التي يزداد بها الرجل ايمانا وعلما. والنظر في المصحف، ووجوه العلماء الصالحين والوالدين، والنظر في آيات الله المشهودة، ليستدل بها على توحيده ومعرفته وحكمته.

والمكروه: فضول النظر الذي لا مصلحة فيه. فإن له فضولا كما للسان فضولا. وكم قاد فضولها إلى فضول عز التخلص منها، وأعيى دواؤها. وقال بعض السلف: كانوا يكرهون فضول النظر، كما يكرهون فضول الكلام.

والمباح: النظر الذي لا مضرة فيه في العاجل والآجل ولا منفعة. ومن النظر الحرام: النظر الى العورات. وهي قسمان عورة وراء الثياب، وعورة وراء الأبواب. ولو نظر إلى العورة التي وراء الأبواب فرماه صاحب العورة، ففقأ عينه لم يكن عليه شيء وذهبت هدرا، بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته. وهذا إذا لم يكن للناظر سبب يباح النظر لأجله، كعورة له هناك ينظرها أو ريبة هو مأمور أو مأذون له في الإطلاع عليها.

وأما الذوق الواجب: فتناول الطعام والشراب عند الإضطرار إليه وخوف الموت. فان تركه حتى مات مات عاصيا قاتلا لنفسه. قال الإمام احمد وطاووس: من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل حتى مات دخل النار.

ومن هذا تناول الدواء اذا تيقن النجاة به من الهلاك على أصح القولين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وان ظن الشفاء به. فهل هو مستحب مباح، أو الأفضل تركه. فيه نزاع معروف بين السلف والخلف. والذوق الحرام: كذوق الخمر، والسموم القاتلة. والذوق الممنوع منه للصوم الواجب.

وأما المكروه: فكذوق المشتبهات، والأكل فوق الحاجة وذوق طعام الفجاءة. وهو الطعام الذي تفجأ آكله ولم يُرد أن يدعوك إليه، وكأكل أطعمة المرائين في الولائم والدعوات ونحوها. وفي السنن: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام المتباريين[1] وذوق طعام من يطعمك حياء منك لا بطيبة نفس.

والذوق المستحب: أكل ما يعينك على طاعة الله عز وجل مما اذن الله فيه. والأكل مع الضيف ليطيب له الأكل، فينال منه غرضه. والأكل من طعام صاحب الدعوة الواجب اجابتها أو المستحب. وقد أوجب بعض الفقهاء الأكل من الوليمة الواجب اجابتها، للأمر به عن الشارع. والذوق المباح: ما لم يكن فيه اثم ولا رجحان

وأما تعلق العبوديات الخمس بحاسة الشم.

فالشم الواجب: كل شم تعين طريقا للتمييز بين الحلال والحرام كالشم الذي تعلم به هذه العين هل هي خبيثة أو طيبة. وهل هي سم قاتل أو لا مضرة فيه أو يميز به بين ما يملك الانتفاع به وما لا يملك[1] ومن هذا شم المقوم وربُّ الخِبرة عند الحكم بالتقويم وشم العبيد ونحو ذلك.

وأما الشم الحرام: فالتعمد لشم الطيب في الإحرام. وشم الطيب المغصوب والمسروق، وتعمد شم الطيب من النساء الأجنبيات خشية الإفتتان بها وراءه.

وأما الشم المستحب: فشم ما يعينك على طاعة الله، ويقوي الحواس، ويبسط النفس للعلم والعمل. ومن هذا هدية الطيب والريحان إذا أهديت لك. ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من عُرض عليه

المتباريين: أي المتعارضين بالضيافة فخرا ورياء: والمباراة المفاخرة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ريحان فلا برده فانه طيب الريح خفيف المحمل. والمكروه: كشم طيب الظَّلَمة، وأصحاب الشبهات، ونحو ذلك. والمباح: ما لا منع فيه من الله ولا تبعه. ولا فيه مصلحة دينية ولا تعلق له بالشرع.

وأما تعلق هذه الخمسة بحاسة اللمس: فاللمس الواجب: فلمس الزوجة حين يجب جماعها، والأمة الواجب اعفافها. والحرام: لمس ما لا يحل من الأجنبيات.

والمستحب: اذا كان فيه غض بصره، وكف نفسه عن الحرام واعفاف أهله.

والمكروه: لمس الزوجة في الإحرام للذة. وكذا في الاعتكاف وفي الصيام اذا لم يأمن على نفسه. ومن هذا لمس بدن الميت لغير غاسله. لأن بدنه قد صار بمنزلة عورة الحي تكريما له ولهذا يستحب ستره عن العيون، وتغسيله في قميصه في أحد القولين. ولمس فخذ الرجل اذا قلنا: هي عورة.

والمباح: ما لم يكن فيه مفسدة ولا مصلحة دينية.

وهذه المراتب ايضا مُرتبة على البطش باليد والمشي بالرجل وأمثلتها لا تخفى. فالتكسب المقدور للنفقة على نفسه وأهله وعياله. واجب: وفي وجوبه لقضاء دينه خلاف. والصحيح وجوبه لتمكنه من أداء دينه ولا يجب لإخراج الزكاة. وفي وجوبه لأداء فريضة الحج نظر. والأقوى في الدليل وجوبه لدخوله في الاستطاعة وتمكنه بذلك من أداء النسك. والمشهور عدم وجوبه ومن البطش الواجب: اعانة المضطر. ورمي الجمار ومباشرة الوضوء والتيمم.

والحرام: كقتل النفس التي حرم الله قتلها، ونهب المال المعصوم، وضرب من لا يحل ضربه، ونحو ذلك، وكأنواع اللعب المحرم بالنص كالنرد أو ما هو أشد تحريما منه عند أهل المدينة كالشطرنج، أو مثله عند فقهاء الحديث كأحمد وغيره، أو دونه عند بعضهم. ونحو كتابة البدع المخالفة للسنة تصنيفا ونسخاً، الا مقرونا بردها ونقضها، وكتابة الزور

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والظلم والحكم الجائر والقذف والتشبيب بالنساء الأجانب وكتابة ما فيه مضرة على المسلمين في دينهم أو دنياهم ولا سيما إن كسبت عليه مالا ﴿فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ وكذلك كتابة المفتي على الفتوى ما يخالف حكم الله ورسوله، إلا أن يكون مجتهدا مخطئاً، فالإثم موضوع عنه.

وأما المكروه: فكالعبث واللعب الذي ليس بحرام، وكتابة مالا فائدة في كتابته، ولا منفعة فيه في الدنيا والآخرة.

والمستحب: كتابة كل ما فيه منفعة في الدين، أو مصلحة لمسلم، والإحسان بيده بأن يعين صانعا، أو يصنع لأخرق، أو يفرغ من دلوه في دلو المستسقي، أو يحمل له عل دابته، أو يمسكها حتى يحمل عليها، أو يعاونه بيده فيما يحتاج إليه ونحو ذلك. ومنه لمس الركن بيده في الطواف، وفي تقبيلها بعد اللمس قولان.

والمباح: مالا مضرة فيه ولا ثواب.

وأما المشي الواجب: فالمشي الى الجمعات والجماعات في أصح القولين، لبضعة وعشرين دليلا، مذكورة في غير هذا الموضع. والمشي حول البيت للطواف الواجب، والمشي بين الصفا والمروة بنفسه أو بمركوبه، والمشي الى حكم الله ورسوله إذا دعي إليه. والمشي إلى صلة رحمه، وبر والديه والمشي إلى مجالس العلم الواجب طلبه وتعلمه، والمشي إلى الحج اذا قربت المسافة ولم يكن عليه ضرر.

والحرام: المشي إلى معصية الله، وهو من رجل الشيطان قال تعالى ﴿واجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ قال مقاتل استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم. فكل راكب وماش في معصية الله فهو من جند ابليس.

وكذلك تتعلق هذه الأحكام الخمس بالركوب أيضا. فواجبه: في الركوب في الغزو، والجهاد، والحج الواجب.

ومستحبه: في الركوب المستحب من ذلك، ولطلب العلم ولصلة الرحم وبر الوالدين، وفي الوقوف بعرفة نزاع: هل الركوب فيه أفضل، أم على

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأرض. والتحقيق: أن الركوب أفضل إذا تضمن مصلحة: من تعليم للمناسك، واقتداء به. وكان أعون على الدعاء ولم يكن فيه ضرر على الدابة.

وحرامه: الركوب في معصية الله عز وجل.

ومكروهه: الركوب للهو واللعب، وكل ما تركه خير من فعله.

ومباحه: الركوب لما لم يتضمن فوت أجر، ولا تحصيل وزر فهذه خمسون مرتبة على عشرة أشياء: القلب، واللسان والسمع والبصر، والأنف، والفم، واليد، والرجل والفرج والاستواء على ظهور الدابة.

((منازل العبودية التي ينتقل فيها القلب منزلة منزلة))

((١٢)) في حال سيره إلى الله

قد أكثر الناس في صفة المنازل وعددها. فمنهم من جعلها ألفاً ومنهم من جعلها مائة. ومنهم من زاد ونقص. فكل وصفها بحسب سيره وسلوكه. وسأذكر فيها أمرا مختصرا جامعا نافعا. ان شاء الله تعالى.

فأول منازل العبودية (اليقظة) وهي انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين. ولله ما أنفع هذه الروعة. وما أعظم قدرها وخطرها. وما أشد اعانتها على السلوك. فمن أحس بها فقد أحس والله بالفلاح. وإلا فهو في سكرات الغفلة. فاذا انتبه شمر لله بهمته إلى سفر إلى منازله الأولى، وأوطانه التي سبي منها.

فحي على جنات عدن فإنها ... منازلك الأولى وفيها المخيم

ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم

فأخذ في أهبة السفر، فانتقل إلى منزلة (العزم) وهو العقد الجازم على المسير. ومفارقة كل قاطع ومعوق ومرافقة كل معين وموصل. وبحسب كمال انتباهه ويقظته يكون عزمه. وبحسب قوة عزمه يكون استعداده فإذا استيقظ أوجبت له اليقظة (الفكرة) وهي تحديق القلب نحو المطلوب الذي قد استعد له مجملا، ولما يهتد الى تفصيله وطريق الوصول اليه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فاذا صحت فكرته أوجبت له (البصيرة) وهي نور في القلب يبصر به الوعد والوعيد، والجنة والنار، وما أعد الله في هذه لأوليائه، وفي هذه لأعدائه. فابصر الناس وقد خرجوا من قبورهم مهطعين لدعوة الحق، وقد نزلت ملائكة السموات فأحاطت بهم. وقد جاء الله وقد نُصِبَ كرسيه لفصل القضاء. وقد أشرقت الأرض بنوره، ووضع الكتاب، وجيء بالنبيين والشهداء. وقد نصب الميزان، وتطايرت الصحف. واجتمعت الخصوم. وتعلق كل غريم بغريمه ولاح الحوض وأكوابه عن كثب. وكثر العِطاش وقل الوارد. ونصب الجسر للعبور، ولُزَّ الناس اليه. وقسمت الأنوار دون ظلمته للعبور عليه. والنار يحطم بعضها بعضا تحته. والمتساقطون فيها أضعاف أضعاف الناجين. فينفتح في قلبه عين يرى بها ذلك ويقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة ودوامها، والدنيا وسرعة انقضائها.

(فالبصيرة) نور يقذفه الله في القلب، يرى به حقيقة ما أخبرت به الرسل. كأنه يشاهده رأي عين فيتحقق مع ذلك انتفاعه بما دعت اليه الرسل، وتضرره بمخالفتهم. وهذا معنى قول بعض العارفين. البصيرة تحقق الانتفاع بالشيء والتضرر به.

(والبصيرة) على ثلاث درجات. من استكملها فقد استكمل البصيرة. بصيرة في الأسماء والصفات، وبصيرة في الأمر والنهي، وبصيرة في الوعد والوعيد.

فالبصيرة في الأسماء والصفات: أن لا يتأثر ايمانك بشبهة تعارض ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، بل تكون الشبهة المعارضة لذلك عندك بمنزلة الشبهة والشكوك في وجود الله. فكلاهما سواء في البلاء عند أهل البصائر وعقد هذا: أن يشهد قلبك الرب تبارك وتعالى مستويا على عرشه، متكلما بأمره ونهيه، بصيرا بحركات العالم علويه وسفليه واشخاصه وذواته، سميعا لأصواتهم، رقيبا على ضمائرهم وأسرارهم، وأمر الممالك تحت تدبيره، نازل من عنده وصاعد اليه، والملائكة بين يديه تنفذ أوامره في أقطار الممالك موصوفا بصفات الكمال،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منعوتا بنعوت الجلال، منزها عن العيوب والنقائص والمثال. هو كما وصف نفسه في كتابه وفوق ما يصفه به خلقه. حي لا يموت. قيوم لا ينام. عليم لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض. بصير يرى دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء. سميع يسمع ضجيج الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. تمت كلمته صدقا وعدلا. وجلت صفاته أن تقاس بصفات خلقه شبها ومثلا. وتعالت ذاته أن تشبه شيئا من الذوات أصلا. ووسعت الخليقة أفعاله عدلا. وحكمة ورحمة واحسانا وفضلا. له الخلق والأمر. وله النعمة والفضل. وله الملك والحمد. وله الثناء والمجد. أولٌ ليس قبله شيء. وآخر ليس بعده شيء. ظاهر ليس فوقه شيء. باطن ليس دونه شيء. اسماؤه كلها أسماء مدح وحمد وثناء وتمجيد. ولذلك كانت حسنى. وصفاته كلها صفات كمال. ونعوته كلها نعوت جلال. وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل. كل شيء من مخلوقاته دال عليه ومرشد لمن رآه بعين البصيرة اليه. لم يخلق السموات والارض وما بينهما باطلا، ولا ترك الإنسان سدىً عاطلا. بل خلق الخلق للقيام بتوحيده وعبادته، وأسبغ عليهم نعمه ليتوسلوا بشكرها إلى زيادة كرامته.

تعرف الى عباده بأنواع التعرفات وصرف لهم الآيات. ونوع لهم الدلالات. ودعاهم الى محبته من جميع الأبواب. ومد بينه وبينهم من عهده أقوى الأسباب. فاتم عليهم نعمه السابغة. وأقام عليهم حجته البالغة أفاض عليهم النعمة، وكتب على نفسه الرحمة. وضمن الكتاب الذي كتبه: ان رحمته تغلب غضبه.

وتفاوت الناس في هذه البصيرة بحسب تفاوتهم في معرفة النصوص النبوية وفهمها، والعلم بفساد الشبه المخالفة لحقائقها.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فصـــل

المرتبة الثانية من البصيرة

البصيرة في الأمر والنهي. وهي تجريده عن المعارضة بتأويل أو تقليد أو هوى. فلا يقوم بقلبه شبهة تعارض العلم بأمر الله ونهيه، ولا شهوة تمنع من تنفيذه وامتثاله، والأخذ به، ولا تقليدٌ يزيحه عن بذل الجهد في تلقي الأحكام من مشكاة النصوص. وقد علمت بهذا أهل البصائر من العلماء وغيرهم.

★ ★ ★

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

المرتبة الثالثة: البصيرة في الوعد والوعيد

وهي أن تشهد قيام الله على كل نفس بما كسبت في الخير والشر عاجلا وآجلا، في دار العمل ودار الجزاء، وان ذلك هو موجب الٰهيته وربوبيته وعدله وحكمته. فان الشك في ذلك شك في الٰهيته وربوبيته. بل شك في وجوده. فإنه يستحيل عليه خلاف ذلك. ولا يليق أن ينسب اليه تعطيل الخليقة وارسالها هملا، وتركها سدى. تعالى الله عن هذا الحسبان علوا كبيرا.

فشهادة العقل بالجزاء كشهادته بالوحدانية. ولهذا كان الصحيح أن المعاد معلوم بالعقل. وانما اهتدي الى تفاصيله بالوحي ولهذا يجعل الله سبحانه انكار المعاد كُفرا به سبحانه. لانه انكار لقدرته وإلٰهيته. وكلاهما مستلزم للكفر به. قال تعالى ﴿وان تعجب فعجب قولهم: أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم. وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾. وفي الآية قولان أحدهما: ان تعجب من قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد. فعجب قولهم. كيف ينكرون هذا وقد خلقوا من تراب ولم يكونوا شيئا. والثاني: إن تعجب من شركهم مع الله غيره، وعدم انقيادهم لتوحيده وعبادته وحده لا شريك له. فإنكارهم للبعث، وقولهم (أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد) أعجب. وعلى التقديرين: فإنكار المعاد عجب من الانسان. وهو محض انكار الرب والكفر به والجحد لإلٰهيته وقدرته، وحكمته وعدله وسلطانه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

فإذا انتبه وأبصر أخذ في (القصد) وصدق الإرادة وأجمع القصد والنية على سفـر الهجرة الى الله. وعلم وتيقن أنه لابد له منه. فأخذ في أهبة السفر، وتعبئة الزاد ليوم المعاد. والتجرد عن عوائق السفر، وقطع العلائق التي تمنعه من الخروج.

فاذا استحكم قصده صار (عزما) جازما، مستلزما للشروع في السفر، مقـرونـا بالتوكل على الله. قال تعالى ﴿فاذا عزمت فتوكل على الله﴾. والعزم: هو القصد الجازم المتصل بالفعل. ولذلك قيل: إنه أول الشروع في الحركة لطلب المقصود، والتحقيق: ان الشروع في الحركة ناشيء عن العـزم لا أنـه هو نفسه، ولكن لما اتصل به من غير فصل ظن أنه هو. وحقيقتـه: هو استجـماع قوى الارادة على الفعـل وفي هذه المنزلة يحتاج السالك الى تمييز ما له مما عليه ليستصحب ما له ويؤدي ما عليه. وهو (المحاسبة) وهي قبل التوبة في المرتبة. فإنه اذا عرف ماله وما عليه أخذ في أداء ما عليه والخروج منه وهو (التوبة).

واعلم ان ترتيب هذه المقامات ليس باعتبار أن السالك يقطع المقام ويفارقه وينتقل الى الثاني. كمنازل السير الحسي. هذا محال. ألا ترى أن اليقظة معه في كل مقام لا تفارقه وكذلك البصيرة والارداة والعزم وكذلك التوبة فانها كما أنها من أول المقامات فهي آخرها أيضا. بل هي في كل مقام مستصحبة. ولهذا جعلها الله تعالى آخر مقامات خاصته. فقال تعالى في غزوة تبـوك. وهي آخـر الغـزوات التي قطعـوا فيهـا الأودية والبـدايات والأحوال والنهايات ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعـوه في ساعـة العُسرة من بعد ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم. انه بهم رؤوف رحيم﴾. فجعل التوبة أول أمرهم وآخره. وقال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في سورة أجَل رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي آخر سورة انزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح. ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا. فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا﴾. وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ما صلى صلاة بعد اذ انزلت عليه هذه السورة الا قال في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفرلي، يتأول القرآن فالتوبة هي نهاية كل سالك وكل ولي لله. وهي الغاية التي يجري اليها العارفون بالله وعبوديته وما ينبغي له. قال تعالى ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا. ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات. وكان الله غفورا رحيما﴾ فجعل سبحانه التوبة غاية كل مؤمن ومؤمنة.

وكذلك الصبر فانه لا ينفك عنه في مقام من المقامات. ومثال ذلك: ان الرضا مترتب على الصبر لتوقف الرضا عليه واستحالة ثبوته بدونه. فاذا قيل. ان مقام الرضا أو حاله على الخلاف بينهم هل هو مقام أو حال[1] بعد مقام الصبر لا يعنى به أنه يفارقه الصبر وينتقل الى الرضا. وانما يعنى أنه لا يحصل له مقام الرضا حتى يتقدم له قبله مقام الصبر. فافهم هذا الترتيب في مقامات العبودية.

وكل مقام من هذه المقامات. فالسالكون بالنسبة اليه نوعان: أبرار، ومقربون. فالأبرار في أذياله. والمقربون في ذروة سنامه. وهكذا مراتب الايمان جميعها. وكل من النوعين لا يحصي تفاوتهم وتفاضل درجاتهم فيه إلا الله.

---

(١) والفرق بين المقام والحال: ان المقامات كسبية والاحوال وهبية: ومنهم من يقول: الأحوال من نتائج المقامات. والمقامات نتائج الأعمال، فكل من كان اصلح عملا كان أعلى مقاما، وكل من كان أعلى مقاما كان أعظم حالا. ١. هـ المؤلف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(منزل التوبة من السائر الى الله)) ((١٣))

منزل التوبة أول المنازل وأوسطها وآخرها فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه الى الممات، وان ارتحل الى منزل آخر ارتحل به، واستصحبه معه ونزل به. فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وحاجته اليها في النهاية ضرورية، كما ان حاجته اليها في البداية كذلك. وقد قال الله تعالى ﴿وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ وهذه الآية في سورة مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد ايمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه وأتى بأداة لعل المشعرة بالترجي وإيذانا انكم اذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون. جعلنا الله منهم. قال تعالى ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ قسم العباد الى تائب وظالم، وما ثم قسم ثالث البتة، وأوقع اسم الظالم على من لم يتب ولا أظلم منه، لجهله بربه وبحقه وبعيب نفسه وآفات أعماله. وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يا أيها الناس توبوا الى الله فوالله إني لأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة، وكان أصحابه يعدون له في المجلس الواحد قبل أن يقوم رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور، مائة مرة، وما صلى صلاة

قط بعد إذا نزلت عليه ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ الى آخرها إلا قال فيها سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لن ينجي احدا منكم عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل فصلوات الله وسلامه على أعلم الخلق بالله وحقوقه وعظمته.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولما كانت التوبة هي: رجوع العبد الى الله، ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين، وذلك لا يحصل الا بهداية الله الى الصراط المستقيم. ولا تحصل هدايته الا باعانته وتوحيده فقد انتظمتها سورة الفاتحة احسن انتظام، وتضمنتها ابلغ تضمن. فمن أعطى الفاتحة حقها - علما وشهودا وحالا ومعرفة - علم انه لا تصح له قراءتها على العبودية إلا بالتوبة النصوح، فان الهداية التامة الى الصراط المستقيم لا تكون مع الجهل بالذنوب، ولامع الاصرار عليها. فان الأول جهل ينافي معرفة الهدى، والثاني غي ينافي قصده وارادته فلذلك لا تصح التوبة الا بعد معرفة الذنب، والاعتراف به وطلب التخلص من سوء عواقبه أولا وآخرا.

((أقسام الناس عند سماع القرآن)) ((١٤))

قال الله تعالى ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين﴾. فأخبر سبحانه أن الناس قسمان: حي قابل للانتفاع. يقبل الإنذار وينتفع به، وميت لا يقبل الإنذار ولا ينتفع به لأن أرضه غير زاكية. ولا قابلة لخير البتة. فيحق عليه القول بالعذاب. وتكون عقوبته بعد قيام الحجة عليه. لا بمجرد كونه غير قابل للهدى والإيمان. بل لأنه غير قابل ولا فاعل. وانما يتبين كونه غير قابل بعد قيام الحجة عليه بالرسول. إذ لو عذبه بكونه غير قابل لقال: لو جاءني رسول منك لامتثلت امرك. فارسل اليه رسوله. فأمره ونهاه. فعصى الرسول بكونه غير قابل للهدى، فعوقب بكونه غير فاعل. فحق عليه القول: انه لا يؤمن ولو جاءه الرسول، كما قال تعالى ﴿وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون﴾ وحق عليه العذاب كقوله تعالى ﴿وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار﴾ فالكلمة التي حقت كلمتان: كلمة الإضلال، وكلمة العذاب كما قال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعالى ﴿ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ وكلمته سبحانه انما حقت عليهم بالعذاب بسبب كفرهم. فحقت عليهم كلمة حجته. وكلمة عدله بعقوبته. وحاصل هذا كله: ان الله سبحانه أمر العباد أن يكونوا مع مراده الديني منهم. لامع مراد أنفسهم. فأهل طاعته آثروا الله ومراده على مرادهم. فاستحقوا كرامته. وأهل معصيته آثروا مرادهم على مرداه. وعلم سبحانه منهم: أنهم لا يؤثرون مراده البتة. وانما يؤثرون اهواءهم ومرادهم فأمرهم ونهاهم. فظهر بأمره ونهيه من القدر الذي قدر عليهم من ايثارهم هوى انفسهم ومرادهم على مرضاة ربهم ومراده. فقامت عليهم بالمعصية حجة عدله. فعاقبهم بظلمهم.

((بصيرة العبد بنفسه، وبصيرته بحقوق ربه من أجل أنواع المعارف)) ((١٥))

(إذا نظر العبد إلى نفسه الأمارة بالسوء، أفاده نظره اليها امورا)[1] منها: أن يعرف انها جاهلة ظالمة. وأن الجهل والظلم يصدر عنهما كل قول وعمل قبيح. ومن وصفه الجهل لا مطمع في استقامته واعتداله البتة. فيوجب له ذلك بذل الجهد في العلم النافع الذي يخرجها به عن وصف الجهل. والعمل الصالح الذي يخرجها به عن وصف الظلم. ومع هذا فجهلها أكثر من علمها. وظلمها أعظم من عدلها. فحقيق بمن هذا شأنه أن يرغب إلى خالقها وفاطرها أن يقيه شرها. وأن يؤتيها تقواها ويزكيها. فهو خير من زكاها فانه ربها ومولاها، وأن لا يكله اليها طرفة عين. فإنه ان وكله اليها هلك. فما هلك من هلك إلا حيث وكل إلى نفسه. وقال النبي صلى الله

---

(١) ما بين هذين القوسين جرى مني فيه تصرف للضرورة فليعلم ذلك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليه وسلم لحصين بن المنذر قل: اللهم ألهمني رشدي. وقني شر نفسي. وفي خطبة الحاجة الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا: وقد قال تعالى ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ وقال ﴿ان النفس لأمارة بالسوء﴾. فمن عرف حقيقة نفسه وما طبعت عليه: علم أنها منبع كل شر، ومأوى كل سوء. وان كل خير فيها ففضل من الله منّ به عليها. لم يكن منها. كما قال تعالى ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا،﴾ وقال تعالى ﴿ولكن الله حبب اليكم الإيمان وزينه في قلوبكم، وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان. أولئك هم الراشدون﴾. فهذا الحب وهذه الكراهة لم يكونا في النفس ولا بها. ولكن هو الله الذي من بهما. فجعل العبد بسببهما من الراشدين ﴿فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم﴾. عليم. بمن يصلح لهذا الفضل ويزكو عليه وبه، ويثمر عنده. حكيم. فلا يضعه عند غير أهله فيضيعه بوضعه في غير موضعه.

فمن له بصيرة بنفسه، وبصيرة بحقوق الله. وهو صادق في طلبه: لم يبق له نظره في سيآته حسنة ألبتة. فلا يلقى الله إلا بالإفلاس المحض. والفقر الصرف. لأنه اذا فتش عن عيوب نفسه وعيوب عمله علم أنها لا تصلح لله، وأن تلك البضاعة لا تشترى بها النجاة من عذاب الله. فضلا عن الفوز بعظيم ثواب الله. فان خلص له عمل وحال مع الله وصفا له معه وقت شاهد منة الله عليه به، وبمجرد فضله، وانه ليس من نفسه، ولا هي أهل لذاك. فهو دائما مشاهد لمنة الله عليه، ولعيوب نفسه وعمله. لأنه متى تطلبها رآها. وهذا من أجل أنواع المعارف وأنفعها للعبد. ولذلك كان سيد الاستغفار: (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت. أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي. انه لا يغفر الذنوب إلا أنت: فتضمن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا الاستغفار: الاعتراف من العبد بربوبية الله والهيته وتوحيده. والاعتراف بأنه خالقه العالم به. اذ أنشأه نشأة تستلزم عجزه عن أداء حقه وتقصيره فيه. والاعتراف بأنه عبده الذي ناصيته بيده وفي قبضته. لا مهرب له منه ولا ولي له سواه، ثم التزام الدخول تحت عهده وهو أمره ونهية ـ الذي عهده اليه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وان ذلك بحسب استطاعتي، لا بحسب أداء حقك. فانه غير مقدور للبشر. انما هو جهد المقل: وقدر الطاقة ومع ذا فأنا مصدق بوعدك. ثم أنزع الى الاستعاذة والاعتصام بك من شر ما فرطت فيه من أمرك ونهيك. فانك إن لم تعذني من شره. والا أحاطت بي الهلكة. فان اضاعة حقك سبب الهلاك، وأنا أقر لك والتزم بنعمتك علي. وأقر والتزم وأبخع بذنبي. فمنك المنة والإحسان والفضل. ومني الذنب والإساءة. فأسألك أن تغفر لي بمحو ذنبي، وأن تعفيني من شره. انه لا يغفر الذنوب إلا أنت. فلهذا كان هذا الدعاء سيد الاستغفار. وهو متضمن لمحض العبودية. فأي حسنة تبقى للبصير الصادق، مع مشاهدته عيوب نفسه وعمله. ومنة الله عليه. فهذا هو الذي يعطيه نظره إلى نفسه ونقصه.

((١٦)) ملاحظة العقبات السبع التي يريد الشيطان الظفر بالعبد منها)) (وذلك بنظره إلى الآمر له بالمعصية)

(إذا نظر[1] الإنسان) الى الآمر له بالمعصية، المزين له فعلها الحاض له عليها. وهو شيطانه الموكل به. فيفيده النظر اليه وملاحظته: اتخاذه عدوا، وكمال الاحتراز منه، والتحفظ واليقظة والإنتباه لما يريد منه عدوه وهو لا يشعر. فانه يريد أن يظفر به في عقبة من سبع عقبات، بعضها أصعب من بعض. لا ينزل منه عن العقبة الشاقة الى ما دونها إلا اذا عجز عن الظفر به فيها.

---

(١) ما بين القوسين فيه تصرف مني للضرورة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العقبة الأولى: عقبة الكفر بالله وبدينه ولقائه، وبصفات كماله، وبما أخبرت به رسله عنه. فانه ان ظفر به في هذه العقبة بردت نار عدوانه واستراح فان اقتحم هذه العقبة ونجا منها ببصيرة الهداية، وسلم معها نور الايمان طلبه على: العقبة الثانية: وهي عقبة البدعة. إما باعتقاد خلاف الحق الذي ارسل الله به رسوله، وأنزل به كتابه واما بالتعبد بما لم يأذن به الله: من الاوضاع والرسوم المحدثة في الدين التي لا يقبل الله منها شيئا. والبدعتان في الغالب متلازمتان قل أن تنفك احداهما عن الأخرى. كما قال بعضهم: تزوجت بدعة الأقوال ببدعة الأعمال. فاشتغل الزوجان بالعرس فلم يفجأهم إلا وأولاد الزنا يعيثون في بلاد الإسلام. فضج منهم العباد والبلاد الى الله تعالى. وقال شيخنا: تزوجت الحقيقة الكافرة، بالبدعة الفاجرة، فتولد بينهما خسران الدنيا والآخرة. فان قطع هذه العقبة وخلص منها بنور السنة واعتصم منها بحقيقة المتابعة، وما مضى عليه السلف الاخيار من الصحابة والتابعين لهم بإحسان. وهيهات أن تسمح الأعصار المتأخرة بواحد من هذا الضرب. فان سمحت به نصب له أهل البدع الحبائل، وبغوه الغوائل، وقالوا مبتدع محدث. فإذا وفقه الله لقطع هذه العقبة طلبه على العقبة الثالثة: وهي عقبة الكبائر: فان ظفر به فيها زينها له، وحسنها في عينه وسوف به وفتح له باب الرجاء. وقال له: الايمان هو نفس التصديق فلا تقدح فيه الأعمال. وربما أجرى على لسانه وأذنه كلمة طالما أهلك بها الخلق، وهي قوله: لا يضر مع التوحيد ذنب، كما لا ينفع مع الشرك حسنة. والظفر به في عقبة البدعة أحب اليه، لمناقضتها الدين، ودفعها لما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، وصاحبها لا يتوب منها. ولا يرجع عنها. بل يدعو الخلق اليها. ولتضمنها القول على الله بلا علم ومعادات صريح السنة. ومعادات أهلها، والاجتهاد على اطفاء نور السنة، وقلب الحقائق، بجعل الحق باطلا والباطل حقا، والإلحاد في دين الله، وتعمية الحق على القلوب وطلب العوج لصراط الله المستقيم. وفتح باب تبديل الدين جملة. فان البدع تستدرج بصغيرها الى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كبيرها، حتى ينسلخ صاحبها من الدين. كما تنسل الشعرة من العجين فمفاسد البدع لا يقف عليها الا أرباب البصائر. والعميان ضالون في ظلمة العمى ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ فإن قطع هذه العقبة بعصمة من الله، أو بتوبة نصوح تنجيه منها طلبه على العقبة الرابعة: وهي عقبة الصغائر: فكال له منها بالقفزان وقال ما عليك اذا اجتنبت الكبائر ما غشيت اللمم، أو ما علمت بأنها تكفر باجتناب الكبائر وبالحسنات. ولا يزال يهون عليه أمرها حتى يصر عليها فيكون مرتكب الكبيرة الخائف الوجل النادم احسن حالا منه. فالإصرار على الذنب أقبح منه. ولا كبيرة مع التوبة والاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار، وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب ـ ثم ضرب لذلك مثلا بقوم نزلوا بفلاة من الأرض فأعوزهم الحطب. فجعل هذا يجيء بعود. وهذا بعود. حتى جمعوا حطبا كثيرا. فأوقدوا نارا وانضجوا خبزتهم. فكذلك فان محقرات الذنوب تجتمع على العبد وهو يستهين بشأنها حتى تهلكه: فان نجى من هذه العقبة بالتحرز والتحفظ ودوام التوبة والاستغفار واتبع السيئة الحسنة طلبه على العقبة الخامسة: وهي عقبة المباحات التي لا حرج على فاعلها فشغله بها عن الاستكثار من الطاعات وعن الاجتهاد في التزود لمعاده. ثم طمع فيه أن يستدرجه منها الى ترك السنن، ثم من ترك السنن الى ترك الواجبات. وأقل ما ينال منه: تفويته الارباح والمكاسب العظيمة والمنازل العالية. ولو عرف السعر لما فوت على نفسه شيئا من القربات. ولكنه جاهل بالسعر. فان نجا من هذه العقبة ببصيرة تامة ونور هاد، ومعرفة بقدر الطاعات والاستكثار منها وقلة المقام على الميناء، وخطر التجارة، وكرم المشتري، وقدر ما يعوض به التجار، فبخل بأوقاته، وضن بأنفاسه أن تذهب في غير ربح طلبه العدو على العقبة السادسة: وهي عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات: فأمره بها. وحسنها في عينه. وزينها له. واراه ما فيها من الفضل والربح، ليشغله بها عما هو أفضل منها، وأعظم كسبا وربحا. لأنه لما عجز عن تخسيره أصل الثواب، طمع في تخسيره كماله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفضله، ودرجاته العالية، فشغله بالمفضول عن الفاضل وبالمرجوح عن الراجح، وبالمحبوب لله عن الأحب اليه، وبالمرضي عن الأرضى له. ولكن اين أصحاب هذه العقبة. فهم الأفراد في العالم، والاكثرون قد ظفر بهم في العقبات الأول، فان نجا منها بفقه في الأعمال ومراتبها عند الله، ومنازلها في الفضل ومعرفة مقاديرها، والتمييز بين عاليها وسافلها، ومفضولها وفاضلها ،ورئيسهاومرؤوسها، وسيدها ومسودها. فان في الأعمال والأقوال سيدا ومسودا، ورئيسا ومرؤوسا، وذروة وما دونها، كما في الحديث الصحيح: سيد الاستغفار: أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا اله إلا أنت ـ الحديث: وفي الحديث الآخر: الجهاد ذروة سنام الأمر. وفي الأثر الآخر أن الأعمال تفاخرت. فذكر كل عمل منها مرتبته وفضله. وكان للصدقة مزية في الفخر عليهن: ولا يقطع هذه العقبة الا أهل البصائر والصدق من أولي العلم، السائرين على جادة التوفيق، قد انزلوا الأعمال منازلها، وأعطوا كل ذي حق حقه.

فاذا نجا منها لم يبق هناك عقبة يطلبه العدو عليها سوى واحدة لابد منها. ولو نجا منها أحد لنجا منها رسل الله وأنبياؤه، وأكرم الخلق عليه. وهي عقبة تسليط جنده عليه بأنواع الأذى باليد واللسان والقلب، على حسب مرتبته في الخير. فكلما علت مرتبته أجلب عليه العدو بخيله ورجله. وضاهر عليه بجنده. وسلط عليه حزبه وأهله بأنواع التسليط. وهذه العقبة لا حيلة له في التخلص منها. فانه كلما جد في الاستقامة والدعوة الى الله، والقيام له بأمره جد العدو في اغراء السفهاء به فهو في هذه العقبة قد لبس لأمة الحرب. وأخذ في محاربة العدو لله وبالله. فعبوديته فيها عبودية خواص العارفين. وهي تسمى عبودية المراغمة ولا ينتبه لها الا ألو البصائر التامة ولا شيء أحب الى الله من مراغمة وليه لعدوه، واغاظته له. وقد أشار سبحانه الى هذه العبودية في مواضع من كتابه. أحدها قوله ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة﴾. سمى المهاجر الذي يهاجر الى عبادة الله مراغما يراغم به عدو الله وعدوه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والله يحب من وليه مراغمة عدوه واغاظته كما قال تعالى ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار. ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ وقال تعالى في مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه ﴿ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾ فمغايظة الكفار غاية محبوبة للرب مطلوبة له.

فموافقته فيها من كمال العبودية. وشرع النبي صلى الله عليه وسلم للمصلي اذا سها في صلاته سجدتين، وقال: ان كانت صلاته تامة كانتا ترغمان أنف الشيطان: وفي رواية ترغيما للشيطان: وسماهما (المرغمتين).

فمن تعبد لله بمراغمة عدوه. فقد أخذ من الصديقية بسهم وافر. وعلى قدر محبة العبد لربه، وموالاته ومعاداته لعدوه، يكون نصيبه من هذه المراغمة. ولأجل هذه المراغمة حمد التبختر بين الصفين، والخيلاء والتبختر عند صدقة السر، حيث لا يراه الا الله. لما في ذلك من ارغام العدو. وبذل محبوبه من نفسه وماله لله عز وجل. وهذا باب من العبودية لا يعرفه الا القليل من الناس ومن ذاق طعمه ولذته بكى على أيامه الأول وبالله المستعان. وعليه التكلان. ولا حول ولا قوة الا بالله.

وصاحب هذا المقام اذا نظر الى الشيطان ولاحظه في الذنب، راغمه بالتوبة النصوح. فاحدثت له هذه المراغمة عبودية أخرى.

★ ★ ★

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

((١٧)) ((أقسام الناس مع الأسباب والقوى والطبائع والقول الصواب في ذلك))

العالم مربوط بالأسباب والقوى، والعلل الفاعلية والغائية. وعلى هذا قام الوجود بتقدير العزيز العليم، والكل مربوط بقضائه وقدره ومشيئته. ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن. فاذا شاء سلب قوة الجسم منه ومنع تأثيرها. واذا شاء جعل في الجسم المنفعل قوة تدفعها وتمنع موجبها مع بقائها. وهذا لكمال قدرته ونفوذ مشيئته. والناس في الأسباب والقوى والطبائع ثلاثة أقسام: منهم: من بالغ في نفيها وانكارها فأضحك العقلاء على عقله. وزعم أنه بذلك ينصر الشرع فجنى على العقل والشرع. وسلط خصمه عليه.

ومنهم: من ربط العالم العلوي والسفلي بها بدون ارتباطها بمشيئة فاعل مختار. ومدبر لها يصرفها كيف أراد. فيسلب قوة هذا ويقيم لقوة هذا قوة تعارضه. ويكف قوة هذا عن التأثير مع بقائها. ويتصرف فيها كمايشاء ويختار، وهذان طرفان جائران عن الصواب.

ومنهم: من أثبتها خلقا وأمرا، قدرا وشرعا. وانزلها بالمحل الذي أنزلها الله به، من كونها تحت تدبيره ومشيئته وهي طوع المشيئة والإرادة، ومحل جريان حكمها عليها فيقوي سبحانه بعضها ببعض. ويبطل ـ ان شاء ـ بعضها ببعض. ويسلب بعضها قوته وسببيته، ويعريها منها، ويمنعه من موجبها مع بقائها عليه، ليعلم خلقه أنه الفعال لما يريد. وانه لا مستقل بالفعل والتأثير غير مشيئته وأن التعلق بالسبب دونه كالتعلق ببيت لعنكبوت مع كونه سببا. وهذا باب عظيم نافع في التوحيد، واثبات لحكم. يوجب للعبد ـ اذا تبصر فيه ـ الصعود من الأسباب الى مسببها. التعلق به دونها، وانها لا تضر ولا تنفع الا باذنه، وانه اذا شاء جعل فعها ضارا وضارها نافعا، ودواءها داء وداءها دواء. فالالتفات اليها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالكلية شرك منـاف للتـوحيد، وانكار أن تكون اسبابا بالكلية قدح في الشرع والحكمة. والإعراض عنها ـ مع العلم بكونها اسبابا ـ نقصان في العقل. وتنزيلها منازلها، ومدافعة بعضها ببعض، وتسليط بعضها على بعض وشهود الجمع في تفرقهـا، والقيام بها: هو محض العبودية والمعرفة واثبات التوحيد والشرع والقدر والحكمة والله أعلم.

(فرضية التوبة على الفور ووجوب التوبة من تأخيرها) (١٨)

المبادرة الى التوبة من الذنب فرض على الفور. ولا يجوز تأخيرها. فمتى أخرها عصى بالتأخير. فاذا تاب من الذنب بقي عليه توبة أخرى. وهي توبته من تأخير التوبة. وقل أن تخطر هذه ببال التائب، بل عنده: انه اذا تاب من الـذنب لم يبق عليه شيء آخر. وقد بقي عليه التوبة من تأخير التوبة ولا ينجي من هذا الا توبة عامة، مما يعلم من ذنوبه ومما لا يعلم. فان مالا يعلمه العبد من ذنوبه أكثر مما يعلمه. ولا ينفعه في عدم المؤاخذة بها جهله اذا كان متمكنـا من العلم. فانه عاص بترك العلم والعمل. فالمعصية في حقه أشد وفي صحيح ابن حبان: ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل. فقال أبو بكر: فكيف الخلاص منه يا رسول الله قال: أن تقول اللهم اني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم. واستغفرك لما لا أعلم. فهذا طلب الاستغفار مما يعلمه الله انه ذنب، ولا يعلمه العبد.

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: انه كان يدعو في صلاته: اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني. اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطأي وعمدي وكل ذلك عندي. اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني. انت إلهي لا اله الا أنت وفي الحديث الآخر: اللهم اغفر لي ذنبي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كله دقه وجله خطأه وعمده. سره وعلانيته أوله وآخره. فهذا التعميم وهذا الشمول لتأتي التوبة على ما علمه العبد من ذنوبه ومالم يعلمه.

((١٩)) ((صفة التوبة من حق الآدمي))

إذا كانت التوبة متضمنة لحق آدمي: فلا بد أن يخرج التائب اليه منه، إما بأدائه واما باستحلاله منه بعد اعلامه به. وان كان حقا ماليا أو جناية على بدنه أو بدن مورثه كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: من كان لأخيه عنده مظلمة من مال أو عرض، فليستحلله اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم الا الحسنات والسيئات.

وان كانت المظلمة بقدح فيه، بغيبة أو قذف: فهل يشترط في توبته منها اعلامه بذلك بعينه والتحلل منه، أو اعلامه بأنه قد نال من عرضه، ولا يشترط تعيينه، أو لا يشترط لا هذا ولا هذا بل يكفي في توبته أن يتوب بينه وبين الله من غير اعلام من قذفه واغتابه. على ثلاثة أقوال. منها: انه لا يشترط الإعلام بما نال من عرضه وقذفه واغتيابه، بل يكفي توبته بينه وبين الله. وأن يذكر المغتاب والمقذوف في مواضع غيبته وقذفه بضد ما ذكره به من الغيبة. فيبدل غيبته بمدحه والثناء عليه، وذكر محاسنه. وقذفه بذكر عفته واحصانه. ويستغفر له بقدر ما اغتابه. وهذا اختيار شيخنا أبي العباس ابن تيمية. قدس الله روحه. واحتج أصحاب هذه المقالة بأن اعلامه مفسدة محضة، لا تتضمن مصلحة، فانه لا يزيده الا أذى وحنقا وغما. وقد كان مستريحا قبل سماعه. فاذا سمعه ربما لم يصبر على حمله، وأورثته ضررا في نفسه أو بدنه. وما كان هكذا فان الشارع لا يبيحه فضلا عن أن يوجبه ويأمر به. قالوا: وربما كان اعلامه به سببا للعداوة والحرب بينه وبين القائل: فلا يصفو له أبدا. ويورثه علمه به عداوة وبغضاء مولدة لشر أكبر من شر الغيبة والقذف، وهذا ضد مقصود الشارع من تأليف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القـولب والـتراحم والتعاطف والتحابب. قالوا: والفرق بين ذلك وبين الحقوق المالية وجنايات الأبدان من وجهين. أحدهما: أنه قد ينتفع بها اذا رجعت اليه. فلا يجوز اخفاؤها عنه فانه محض حقه فيجب عليه أداؤه إليه بخلاف الغيبة والقذف فانه ليس هناك شيء ينفعه يؤديه اليه الا اضراره وتهييجه فقط. فقياس احدهما على الآخر من أفسد القياس.

والثاني: أنه اذا اعلمه بها لم تؤذه ولم تهيج منه غضبا ولا عداوة. بل ربما سره ذلك وفرح به. بخلاف اعلامه بما مزق به عرضه طول عمره ليلا ونهارا من أنواع القذف والغيبة والهجو فاعتبار احدهما بالآخر اعتبار فاسد. وهذا هو الصحيح في القولين كما رأيت. والله أعلم.

((٢٠)) ((معنى تبديل السيئات حسنات بالتوبة))

قوله تعالى ﴿الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئـاتهم حسنـات. وكان الله غفورا رحيما﴾. وهذا من أعظم البشارة للتائبين اذا اقترن بتوبتهم ايمان وعمل صالح. وهو حقيقة التوبة. قال ابن عباس رضى الله عنهما: ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فرح بشيء قط فرحه بهذه الآية لما أنزلت وفرحه بنزول ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ واختلفوا في صفة هذا التبديل وهل هو في الدنيا أو في الآخرة على قولين: فقال ابن عباس وأصحابه: هو تبديلهم بقبـائـح أعـمالهم محاسنهـا. فبـدلهم بالشرك ايمانا وبالزنا عفة واحصانا. وبـالكـذب صدقـا، وبالخيانة أمانة فعلى هذا معنى الآية: ان صفاتهم القبيحة، وأعمالهم السيئة بدلوا عوضها صفات جميلة، وأعمالا صالحة، كما يبدل المريض بالمرض صحة، والمبتلى ببلائه عافية، وقال سعيد بن المسيب وغيره من التابعين:

هو تبديل الله سيئاتهم التي عملوها بحسنات يوم القيامة. فيعطيهم مكان كل سيئة حسنة. واحتج أصحاب هذا القول بما روى الترمذي في جامعه: حدثنـا الحسين بن حريث قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا الأعمش عن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المعرور بن سويد عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعلم آخر رجل يخرج من النار: يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه. ويخبأ عنه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا وكذا. وهو مقر لا ينكر، وهو مشفق من كبارها فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة. فيقول: ان لي ذنوبا ما أراها ههنا. قال أبو ذر، فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه. فهذا حديث صحيح. ولكن في الاستدلال به على صحة هذا القول نظر. فإن هذا قد عذب بسيئاته ودخل بها النار. ثم بعد ذلك أخرج منها وأعطي مكان كل سيئة حسنة، صدقة تصدق الله بها عليه ابتداء بعدد ذنوبه وليس في هذا تبديل تلك الذنوب بحسنات. اذ لو كان كذلك لما عوقب عليها كما لم يعاقب التائب. والكلام انما هو في تائب أثبت له مكان كل سيئة حسنة، فزادت حسناته. فاين في هذا الحديث ما يدل على ذلك. والناس استقبلوا هذا الحديث مستدلين به في تفسير هذه الآية على هذا القول، وقد علمت ما فيه، لكن للسلف غور ودقة فهم لا يدركها كثير من المتأخرين. فالاستدلال به صحيح، بعد تمهيد قاعدة، اذا عرفتها عرفت لطف الاستدلال به ودقته. وهي أن الذنب لابد له من أثر، وأثره يرتفع بالتوبة تارة، وبالحسنات الماحية تارة، وبالمصائب المكفرة تارة وبدخول النار ليتخلص من أثره تارة. وكذلك اذا اشتد أثره ولم تقو تلك الأمور على محوه. فلابد إذاً من دخول النار لأن الجنة لا يكون فيها ذرة من الخبيث ولا يدخلها الا من طاب من كل وجه. فاذا بقي عليه شيء من خبث الذنوب أدخل كير الإمتحان ليخلص ذهب ايمانه من خبثه فيصلح حينئذ لدار الملك.

اذا علم هذا فزوال موجب الذنب وأثره تارة يكون بالتوبة النصوح. وهي أقوى الأسباب. وتارة يكون باستيفاء الحق منه وتطهيره في النار. فاذا تطهر بالنار، وزال أثر الوسخ والخبث عنه، أعطي مكان كل سيئة حسنة. فاذا تطهر بالتوبة النصوح، وزال عنه بها أثر وسخ الذنوب وخبثها كان أولى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بأن يعطى مكان كل سيئة حسنة. لأن ازالة التوبة لهذا الوسخ والخبث أعظم من ازالة النار وأحب الى الله وازالة النار بدل منها. وهي الأصل. فهي أولى بالتبديل مما بعد الدخول. يوضحه: أن التائب قد بدل كل سيئة بندمه عليها حسنة. اذ هو توبة تلك السيئة، والندم توبة. والتوبة من كل ذنب حسنة فصار كل ذنب عمله زائلا بالتوبة التي حلت محله وهي حسنة فصار له مكان كل سيئة حسنة بهذا الاعتبار. فتأمله فإنه من ألطف الوجوه. وعلى هذا فقد تكون هذه الحسنة مساوية في القدر لتلك السيئة. وقد تكون دونها. وقد تكون فوقها. وهذا بحسب نصح هذه التوبة وصدق التائب فيها، وما يقترن بها من عمل القلب الذي تزيد مصلحته ونفعه على مفسدة تلك السيئة. وهذا من أسرار مسائل التوبة ولطائفها. يوضحه: أن ذنب العارف بالله وبأمره قد يترتب عليه حسنات أكبر منه وأكثر وأعظم نفعا. وأحب الى الله من عصمته من ذلك الذنب: من ذل وانكسار وخشية وانابة وندم، وتدارك بمراغمة العدو بحسنة أو حسنات أعظم منه، حتى يقول الشيطان: يا ليتني لم أوقعه فيما أوقعته فيه ويندم الشيطان على ايقاعه في الذنب، كندامة فاعله على ارتكابه لكن شتان ما بين الندمين. والله تعالى يحب من عبده مراغمة عدوه وغيظه. فيحصل من العبد مراغمة العدو بالتوبة والتدارك، وحصول محبوب الله من التوبة، وما يتبعها من زيادة الأعمال هنا، ما يوجب جعل مكان السيئة حسنة بل حسنات. وتأمل قوله ﴿يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ ولم يقل مكان كل واحدة واحدة فهذا يجوز أن يبدل السيئة الواحدة بعدة حسنات بحسب حال المبدل.

وأما في الحديث: فان الذي عذب على ذنوبه لم يبدلها في الدنيا بحسنات، من التوبة النصوح وتوابعها. فلم يكن له ما يجعل مكان السيئة حسنات فاعطي مكان كل سيئة حسنة واحدة وسكت النبي صلى الله عليه وسلم عن كبار ذنوبه. ولما انتهى اليها ضحك. ولم يبين ما يفعل الله بها. وأخبر أن الله يبدل مكان كل صغيرة حسنة. ولكن في الحديث اشارة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لطيفة الى أن هذا التبديل يعم كبارها وصغارها من وجهين أحدهما: قوله. اخبئوا عنه كبارها. فهذا اشعار بأنه اذا رأى تبديل الصغار ذكرها وطمع في تبديلها فيكون تبديلها أعظم موقعا عنده من تبديل الصغائر. وهو به أشد فرحا واغتباطا. والثاني: ضحك النبي صلى الله عليه وسم عند ذكر ذلك. وهذا الضحك مشعر بالتعجب مما يفعل به من الإحسان، وما يقر به على نفسه من الذنوب من غير أن يقرر عليها ولا يسأل عنها وانما عرضت عليه الصغائر فتبارك الله رب العالمين وأجود الأجودين وأكرم الأكرمين البر اللطيف المتودد الى عباده بأنواع الإحسان وايصاله اليهم من كل طريق بكل نوع. لا اله إلا هو الرحمن الرحيم.

٢١ ((حقيقة التوبة في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ))

كثير من الناس انما يفسر التوبة بالعزم على أن لا يعاود الذنب، وبالإقلاع عنه في الحال، وبالندم عليه في الماضي. وان كان في حق آدمي: فلابد من أمر رابع. وهو التحلل منه. وهذا الذي ذكروه بعض مسمى التوبة بل شرطها، والا فالتوبة في كلام الله ورسوله ـ كما تتضمن ذلك ـ تتضمن العزم على فعل المأمور والتزامه. فلا يكون بمجرد الإقلاع والعزم والندم تائبا، حتى يوجد منه العزم الجازم على فعل المأمور والإتيان به. هذا حقيقة التوبه. وهي اسم لمجموع الأمرين. لكنها اذا قرنت بفعل المأمور كانت عبارة عما ذكروه، فاذا أفردت تضمنت الأمرين. وهي كلفظة التقوى. التي تقتضي عند افرادها فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه وتقتضي عند اقترانها بفعل المأمور. الانتهاء عن المحظور فإن حقيقة التوبة: الرجوع الى الله بالتزام فعل ما يحب وترك ما يكره. فهي رجوع من مكروه الى محبوب. فالرجوع الى المحبوب جزء مسماها. والرجوع عن المكروه الجزء الآخر ولهذا علق الله سبحانه الفلاح المطلق على فعل المأمور وترك المحظور بها فقال ﴿وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ فكل تائب مفلح. ولا يكون مفلحا الا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من فعل ما أمر به وترك ما نهي عنه فإذا التوبة. هي حقيقة دين الإسلام، والدين كله داخل في مسمى التوبة. وبهذا استحق التائب أن يكون حبيب الله. فان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وانما يحب الله من فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

فاذا التوبة: هي الرجوع مما يكهرهه الله ظاهرا وباطنا الى ما يحبه ظاهرا وباطنا. ويدخل في مسماها الإسلام والايمان والإحسان. وتتناول جميع المقامات. ولهذا كانت غاية كل مؤمن، وبداية الأمر وخاتمته. وهي الغايه التي وجد لأجلها الخلق. والأمر والتوحيد جزء منها. بل هو جزؤها الأعظم الذي عليه بناؤها. وأكثر الناس لا يعرفون قدر التوبة ولا حقيقتها، فضلا عن القيام بها علما وعملا وحالا ولم يجعل الله تعالى محبته للتوابين الا وهم خواص الخلق لديه. ولولا أن التوبة. اسم جامع لشرائع الإسلام، وحقائق الإيمان لم يكن الرب تعالى يفرح بتوبة عبده ذلك الفرح العظيم. فجميع ما يتكلم فيه الناس من المقامات والأحوال هو تفاصيل التوبة وآثارها.

٢٢ ((اقتران الإستغفار بالتوبة وعدم ذلك))

وأما الاستغفار. فهو نوعان. مفرد ومقرون بالتوبة فالمفرد كقوله ﴿واستغفروا الله ان الله غفور رحيم﴾ فالاستغفار المفرد كالتوبة. بل هو التوبة بعينها مع تضمنه طلب المغفرة من الله. وهو محو الذنب وازالته، ووقاية شره، لا كما ظنه بعض الناس انها الستر فان الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له. ولكن الستر لازم مسماها أو جزؤه فدلالتها عليه اما بالتضمن واما باللزوم وحقيقتها: وقاية شر الذنوب. ومنه المغفر لما يقي الرأس من الأذى. والستر لازم لهذا المعنى. والا فالعمامة لا تسمى مغفرا، ولا القبع ونحوه مع ستره. فلا بد في لفظ المغفر من الوقاية. وهذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قوله ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ فان الله لا يعذب مستغفرا. وأما من أصر على الذنب،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وطلب من الله مغفرته. فهذا ليس باستغفار مطلق. ولهذا لا يمنع العذاب. فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار. وكل منهما يدخل في مسمى الاخر عند الإطلاق وأما عند اقتران احد اللفظتين بالاخرى. فالاستغفار طلب وقاية شر ما مضى. والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله. فها هنا ذنبان: ذنب قد مضى. فالاستغفار منه: طلب وقاية شره. وذنب يخاف وقوعه، فالتوبة: العزم على أن لا يفعله.

والرجوع الى الله يتناول النوعين: رجوع اليه ليقيه شر ما مضى. ورجوع اليه ليقيه شر ما يستقبل من شر نفسه وسيئات أعماله. وأيضا. فالاستغفار من باب ازالة الضرر والتوبة طلب جلب المنفعة. فالمغفرة أن يقيه شر الذنب والتوبة: أن يحصل له بعد هذه الوقاية ما يحبه. وكل منهما يستلزم الأخر عند افراده والله أعلم.

٢٣ ((التوبة النصوح وحقيقتها))

النصوح على وزن فعول المعدول به عن فاعل قصدا للمبالغة كالشكور والصبور. وأصل مادة (ن ص ح) لخلاص الشيء من الغش والشوائب الغريبة. فالنصح في التوبة والعبادة والمشورة: تخليصها من كل غش ونقص وفساد وايقاعها على أكمل الوجوه. والنصح ضد الغش.

وقد اختلفت عبارات السلف عنها. ومرجعها الى شيء واحد. فقال عمر بن الخطاب وأبي بن كعب رضى الله عنهما. التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود اليه كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال محمد بن كعب القرظي: يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والاقلاع بالأبدان، واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الاخوان. قلت: النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء الأول: تعميم جميع الذنوب واستغراقها بها بحيث لا تدع ذنبا الا تناولته. والثاني اجماع العزم والصدق بكليته عليها. بحيث لا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يبقى عنده تردد ولا تلوم ولا انتظار. بل يجمع عليها كل ارادته وعزيمته مبادرا بها. الثالث: تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في اخلاصها. ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته، والرغبة فيما لديه، والرهبة مما عنده. لا كمن يتوب لحفظ جاهه وحرمته ومنصبه ورياسته، ولحفظ حاله[1]، أو لحفظ قوته وماله، أو استدعاء حمد الناس، أو الهرب من ذمهم، أو لئلا يتسلط عليه السفهاء، أو لقضاء نهمته من الدنيا، أو لإفلاسه وعجزه ونحو ذلك من العلل التي تقدح في صحتها وخلوصها لله عز وجل. فالأول يتعلق بما يتوب منه والثالث: بمن يتوب اليه: والأوسط: يتعلق بذات التائب ونفسه. فنصح التوبة الصدق فيها، والاخلاص وتعميم الذنوب بها. ولا ريب ان هذه التوبة تستلزم الاستغفار وتتضمنه، وتمحو جميع الذنوب، وهي أكمل ما يكون من التوبة. والله المستعان. وعليه التكلان. ولا حول ولا قوة الا بالله.

★ ★ ★

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

وتوبة العبد الى الله محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها. وتوبة منه بعدها. فتوبته بين توبتين من ربه. سابقة ولاحقة فانه تاب عليه أولا إذنا وتوفيقا والهاماً، فتاب العبد. فتاب الله عليه ثانيا، قبولا واثابة. قال الله سبحانه وتعالى ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم. وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم﴾ فأخبر سبحانه أن توبته عليهم سبقت توبتهم، وانها هي التي جعلتهم تائبين فكانت سببا مقتضيا لتوبتهم. فدل على أنهم ما تابوا حتى تاب الله تعالى عليهم. والحكم ينتفي لانتفاء علته.

ونظير هذا: هدايته لعبده قبل الاهتداء فيهتدي بهدايته فتوجب له تلك الهداية هداية أخرى يثيبه الله بها هداية على هدايته. فان من ثواب الهدى: الهدى بعده، كما أن من عقوبة الضلالة: الضلالة بعدها. قال الله تعالى ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾ فهداهم أولا فاهتدوا. فزادهم هدى ثانيا وعكسه في أهل الزيغ كقوله تعالى ﴿فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم﴾ فهذه الإزاغة الثانية عقوبة لهم على زيغهم. وهذا القدر من سر اسمه الأول، والآخر: فهو المعد وهو الممد ومنه السبب والمسبب. وهو الذي يعيذ من نفسه بنفسه كما قال أعرف الخلق به وأعوذ بك منك. والعبد تواب والله تواب. فتوبة العبد: رجوعه الى سيده بعد الإباق وتوبة الله نوعان: اذن وتوفيق، وقبول وامداد.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢٤ فصل في أجناس ما يتاب منه

ولا يستحق العبد اسم التائب حتى يتخلص منها. وهي اثنا عشر جنسا مذكورة في كتاب الله عز وجل، وهى أجناس المحرمات: الكفر، والشرك، والنفاق، والفسوق، والعصيان، والإثم، والعدوان، والفحشاء، والمنكر، والبغي، والقول على الله بلا علم، واتباع غير سبيل المؤمنين، فهذه الاثنا عشر جنسا عليها مدار كل ما حرم الله. واليها انتهاء العالم بأسرهم الا اتباع الرسل. صلوات الله وسلامه عليهم. وقد يكون في الرجل اكثرها وأقلها، أو واحدة منها. وقد يعلم ذلك وقد لا يعلم. فالتوبة النصوح: هي التخلص منها والتحصن والتحرز من مواقعتها. وإنما يمكن التخلص منها لمن عرفها ونحن نذكرها، ونذكر ما اجتمعت فيه وما افترقت لنبين حدودها وحقائقها. والله الموفق لما وراء ذلك كما وفق له. ولا حول ولا قوة الا بالله. وهذا الفصل من أنفع فصول الكتاب. والعبد أحوج شيء اليه.

فأما الكفر فنوعان: كفر أكبر وكفر أصغر، فالكفر الأكبر: هو الموجب للخلود في النار.

والأصغر: موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود. كما في قوله تعالى وكان مما يتلى فنسخ لفظه ﴿لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفربكم﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث: اثنتان في أمتي هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة. وقوله في السنن من أتى أمرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد. وفي الحديث الآخر من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول: فقد كفر بما أنزل الله على محمد. وقوله. لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض. وهذا تأويل ابن عباس وعامة الصحابة في قوله تعالى ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون﴾ قال ابن عباس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ليس بكفر ينقل عن الملة. بل اذا فعله فهو به كفر. وليس كمن كفر بالله واليوم الأخر. وكذلك قال طاوس. وقال عطاء هو كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق ومنهم: من تأول الآية على ترك الحكم بما أنزل الله جاحدا له ومنهم: من تأولها على الحكم بمخالفة النص، تعمدا من غير جهل به ولا خطأ في التأويل حكاه البغوي عن العلماء عموما ومنهم: من جعله كفرا ينقل عن الملة.

والصحيح: أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم. فانه ان اعتقد وجوب الحكم بما انزل الله في هذه الواقعة، وعدل عنه عصيانا، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة. فهذا كفر أصغر. وان اعتقد أنه غير واجب وانه مخير فيه. مع تيقنه أنه حكم الله. فهذا كفر أكبر وإن جهله وأخطأه: فهذا مخطيء، له حكم المخطئين.

والقصد: ان المعاصي كلها من نوع الكفر الأصغر. فانها ضد الشكر الذي هو العمل بالطاعة. فالسعي: اما شكر. واما كفر واما ثالث. لا من هذا ولا من هذا والله أعلم.

★ ★ ★

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار واباء مع التصديق. وكفر اعراض. وكفر شك. وكفر نفاق، فأما كفر التكذيب: فهو اعتقاد كذب الرسل. وأما كفر الإباء والاستكبار: فنحو كفر ابليس. فانه لم يجحد امر الله ولا قابله بالانكار وانما تلقاه بالاباء والاستكبار وهو الغالب على كفر أعداء الرسل. وهو كفر اليهود كما قال تعالى ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ وهو كفر أبي طالب أيضا، فانه صدقه ولم يشك في صدقه. ولكن اخذته الحمية، وتعظيم آبائه أن يرغب عن ملتهم، ويشهد عليهم بالكفر.

وأما كفر الاعراض: فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يصدقه ولا يكذبه. ولا يواليه ولا يعاديه. ولا يصغي الى ما جاء به البتة. كما قال احد بني عبد ياليل للنبي صلى الله عليه وسلم. والله لا أقول لك كلمة. ان كنت صادقا فأنت أجل في عيني ان أرد عليك. وان كنت كاذبا، فأنت أحقر من أن أكلمك.

وأما كفر الشك: فانه لا يجزم بصدقه ولا بكذبه. بل يشك في أمره. وهذا لا يستمر شكه الا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم جملة. فلا يسمعها ولا يلتفت اليها. واما مع التفاته اليها ونظره فيها. فانه لا يبقى معه شك. لأنها مستلزمة للصدق. ولا سيما بمجموعها فان دلالتها على الصدق كدلالة الشمس على النهار.

وأما كفر النفاق: فهو أن يظهر بلسانه الإيمان وينطوي بقلبه على التكذيب. فهذا هو النفاق الأكبر وسيأتي بيان أقسامه ان شاء الله تعالى.

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فصـــل

وكفر الجحود نوعان: كفر مطلق عام، وكفر مقيد خاص. فالمطلق: ان يجحد جملة ما أنزله الله، وارساله الرسول والخاص المقيد: ان يجحد فرضا من فروض الإسلام، أو تحريم محرم من محرماته، أو صفة وصف الله بها نفسه، أو خبرا أخبر الله به. عمدا، أو تقديما لقول من خالفه عليه لغرض من الأغراض. وأما جحد ذلك جهلا، أو تأويلا يعذر فيه صاحبه: فلا يكفر صاحبه به. كحديث الذي جحد قدرة الله عليه. وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح. ومع هذا فقد غفر الله له ورحمه لجهله. اذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه ولم يجحد قدرة الله على اعادته عنادا أو تكذيبا.

★ ★ ★

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

وأما الشرك، فهو نوعان: أكبر وأصغر فالأكبر لا يغفره الله الا بالتوبة منه. وهو أن يتخذ من دون الله ندا، يحبه كما يحب الله. وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين. ولهذا قالوا عن آلهتهم في النار ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين﴾ مع اقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه، وان آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت. وانما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم بل كلهم ومن جهل المشرك: اعتقاده ان من اتخذه وليا أو شفيعا أنه يشفع له وينفعه عند الله. كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم. ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد الا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة الا لمن رضى قوله وعمله كما قال تعالى في الفصل الأول ﴿من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه﴾ وفي الفصل الثاني ﴿ولا يشفعون الا لمن ارتضى﴾ وبقي فصل ثالث، وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وعن هاتين الكلمتين يسأل الأولين والآخرين كما قال أبو العالية كلمتان يسأل عنهما الأولون والاخرون: ما كنتم تعبدون. وماذا أجبتم المرسلين. فهذه ثلاثة أصول. تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها: لا شفاعة إلا بإذنه. ولا يأذن الا لمن رضى قوله وعمله. ولا يرضى من القول والعمل الا توحيده واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم وقد قطع الله تعالى كل الأسباب التي تعلق بها المشركون جميعا، قطعا يعلم من تأمله وعرفه: أن من اتخذ من دون الله وليا فهو ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتا. وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾ فقال تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض. وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير. ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له﴾ فالمشرك انما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع والنفع لا يكون الا ممن فيه خصلة من هذه الأربع: إما مالك لما يريده عابده منه. فان لم يكن مالكا كان شريكا للمالك.

فإن لم يكن شريكا له كان معينا له وظهيرا فان لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده. فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيا مترتبا، متنقلا من الأعلى الى ما دونه. فنفى الملك والشركة، والمظاهرة، والشفاعة، التي يظنها المشرك. وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك. وهي الشفاعة بإذنه. فكفى بهذه الآية نورا، وبرهانا ونجاة، وتجريدا للتوحيد وقطعا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها. والقرآن مملوء من امثالها ونظائرها. ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له. ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا. وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن. ولعمرو الله ان كان اولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم. وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك. ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: انما تنقض عرى الإسلام عروة عروة اذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية. وهذا لأنه اذا لم يعرف الجاهلية والشرك وما عابه القرآن وذمه: وقع فيه وأقره، ودعا اليه وصوبه وحسنه. وهو لا يعرف: انه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره. أو شر منه أو دونه فينقض بذلك عرى الإسلام عن قلبه. ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا، والبدعة سنة، والسنة بدعة. ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد. ويبدع بتجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومفارقة الاهواء والبدع. ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا والله المستعان.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء، والتصنع للخلق والحلف بغير الله كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من حلف بغير الله فقد أشرك. وقول الرجل للرجل. ما شاء الله وشئت. وهذا من الله ومنك: وانا بالله وبك. ومالي الا الله وأنت. وأنا متوكل على الله وعليك. ولولا أنت لم يكن كذا وكذا. وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب قائله ومقصده. وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل قال له ما شاء الله وشئت. أجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده. وهذا اللفظ أخف من غيره من الألفاظ

★ ★ ★

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

وأما النفاق: فالداء العضال الباطن، الذي يكون الرجل ممتلئاً منه، وهو لا يشعر. فانه أمر خفي على الناس. وكثيرا ما يخفى على من تلبس به. فيزعم أنه مصلح وهو مفسد.

وهـو نوعـان: أكـبر، وأصغر. فالأكبر: يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل. وهو أن يظهر للمسلمين ايمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر. وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به. لا يؤمن بأن الله تكلم بكلام أنزله على بشر جعله رسولا للناس، يهديهم باذنه. وينذرهم بأسـه، ويخـوفهم عقابه. وقد هتك الله سبحانه استار المنافقين وكشف اسرارهم في القـرآن. وجـلى لعباده أمورهم ليكونوا منها ومن أهلها على حذر. وذكر طوائف العالم الثلاثة في أول سورة البقرة: المؤمنين، والكفار، والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات. وفي الكفار آيتين. وفي المنافقين ثلاث عشرة آية. لكثـرتهم وعمـوم الابتـلاء بهم. وشـدة فتنتهم على الإسـلام واهله. فان بلية الإسـلام بهم شديدة جدا. لأنهم منسوبون اليه، والى نصرته وموالاته، وهم اعداؤه في الحقيقة. يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم واصلاح. وهو غاية الجهل والإفساد.

لكل منهم وجهان. وجه يلقى به المؤمنين، ووجه ينقلب به الى اخوانه من الملحـدين. ولـه لسـانان: أحدهما يقبله بظاهره المسلمون، والآخر يترجم به عن سره المكنون. واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا. واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون.

اضاءت لهم نار الإيمان فابصروا في ضوئها مواقع الهدى والضلال ثم طفيء ذلك النور وبقيت نارا تأجج ذات لهب واشتعال فهم في تلك النار معذبون. وفي تلك الظلمات يعمهون. مثلهم كمثل الذي استوقد نارا.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فلما اضاءت ما حوله: ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون. أسماع قلوبهم قد اثقلها الوقر فهي لا تسمع منادي الإيمان. وعيون بصائرهم عليها غشاوة العمى. فهي لا تبصر حقائق القرآن. والسنتهم بها خرس عن الحق فهم به لا ينطقون ﴿صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾ صاب عليهم صيب الوحي، وفيه حياة القلوب والأرواح. فلم يسمعوا منه الا رعد التهديد والوعيد والتكاليف التي وظفت عليهم في المساء والصباح. فجعلوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم وجدوا في الهرب. والطلب في آثارهم والصياح. فنودي عليهم على رؤس الأشهاد. وكشفت حالهم للمستبصرين، وضرب لهم مثلان بحسب حال الطائفتين منهم: المناظرين، والمقلدين فقيل ﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق. يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت. والله محيط بالكافرين﴾ ضعفت أبصار بصائرهم عن احتمال ما في الصيب من بروق انواره وضياء معانيه. وعجزت أسماعهم عن تلقي رعود وعوده وأوامره ونواهيه. فقاموا عند ذلك حيارى في أودية التيه. لا ينتفع بسمعه السامع. ولا يهتدي ببصره البصير ﴿كلما أضاء لهم مشوافيه. واذا أظلم عليهم قاموا. ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم. ان الله على كل شيء قدير﴾.

لهم علامات يعرفون بها مبينة في السنة والقرآن. بادية لمن تدبرها من أهل بصائر الإيمان. قام بهم ـ والله ـ الرياء. وهو أقبح مقام قامه الإنسان. وقعد بهم الكسل عما أمروا به من أوامر الرحمن. فأصبح الإخلاص عليهم لذلك ثقيلا ﴿وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى. يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا﴾.

أحدهم كالشاة العائرة بين الغنمين، تيعر الى هذه مرة والى هذه مرة. ولا تستقر مع احدى الفئتين. فهم واقفون بين الجمعين. ينظرون أيهم أقوى واعز قبيلا ﴿مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا﴾ يتربصون الدوائر بأهل السنة والقرآن فان كان لهم فتح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من الله قالوا الم نكن معكم. واقسموا على ذلك بالله جهد ايمانهم. وان كان لأعداء الكتاب والسنة من النصرة نصيب. قالوا: ألم تعلموا أن عقد الإخاء بيننا محكم. وأن النسب بيننا قريب. فيا من يريد معرفتهم خذ صفاتهم من كلام رب العالمين فلا تحتاج بعده دليلا ﴿الذين يتربصون بكم. فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم. وان كان للكافرين نصيب قالوا: ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين. فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾.

يعجب السامع قول احدهم لحلاوته ولينه. ويشهد الله على ما في قلبه من كذبه ومينه. فتراه عند الحق نائما. وفي الباطل على الأقدام. فخذ وصفهم من قول القدوس السلام ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام﴾. أوامرهم التي يأمرون بها أتباعهم متضمنة لفساد البلاد والعباد. ونواهيهم عما فيه صلاح في المعاش والمعاد. وأحدهم تلقاه بين جماعة أهل الإيمان في الصلاة والذكر والزهد والاجتهاد. ﴿واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد). فهم جنس بعضه يشبه بعضا. يأمرون بالمنكر بعد أن يفعلوه وينهون عن المعروف بعد أن يتركوه. ويبخلون بالمال في سبيل الله ومرضاته أن ينفقوه. كم ذكرهم بنعمه فأعرضوا عن ذكره ونسوه. وكم كشف حالهم لعباده المؤمنين ليجتنبوه. فاسمعوا أيها المؤمنون ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف. ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون﴾.

ان حاكمتهم الى صريح الوحي وجدتهم عنه نافرين. وان دعوتهم الى حكم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم رأيتهم عنه معرضين. فلو شهدت حقائقهم لرأيت بينها وبين الهدى أمدا بعيدا. ورأيتها معرضة عن الوحي اعراضا شديدا ﴿واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا﴾ تسبق يمين احدهم كلامه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من غير أن يعترض عليه. لعلمه أن قلوب أهل الايمان لا تطمئن اليه. فيتبرأ بيمينه من سوء الظن به وكشف ما لديه. وكذلك أهل الريبة يكذبون ويحلفون ليحسب السامع أنهم صادقون قد ﴿اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون﴾.

أحسن الناس أجساما، وأخلبهم لسانا. وألطفهم بيانا. وأخبثهم قلوبا. واضعفهم جنانا. فهم كالخشب المسندة التي لا ثمر لها. قد قلعت من مغارسها فتساندت الى حائط يقيمها لئلا يطأها السالكون ﴿واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم. كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾. يؤخرون الصلاة عن وقتها الأول الى شرق الموتى[1] فالصبح عند طلوع الشمس والعصر عند الغروب. وينقرونها نقر الغراب. إذ هي صلاة الأبدان، لا صلاة القلوب. ويلتفتون فيها التفات الثعلب اذا تيقن أنه مطرود مطلوب. ولا يشهدون الجماعة، بل إن صلى احدهم ففي البيت أو الدكان، واذا خاصم فجر. واذا عاهد غدر. واذا حدث كذب. واذا وعد أخلف. واذا ائتمن خان. هذه معاملتهم للخلق وتلك معاملتهم للخالق فخذ وصفهم من أول المطففين، وآخر (والسماء والطارق). فلا ينبئك عن أوصافهم مثل خبير ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾. فما أكثرهم وهم الأقلون. وما أجبرهم وهم الأذلون. وما أجهلهم وهم المتعالمون. وما أغرهم بالله اذ هم بعظمته جاهلون ﴿ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون﴾ لا تستطل أوصاف القوم. فالمتروك ـ والله ـ أكثر من المذكور كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم. لكثرتهم على ظهر الأرض وفي أجواف القبور. سمع حذيفة رضي الله عنه رجلا يقول: اللهم أهلك المنافقين. فقال يا ابن أخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في طرقاتكم من قلة السالك.

---

(١) لأن ضوء الشمس عند ذلك الوقت ساقط على المقابر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تالله لقد قطع خوف النفاق قلوب السابقين الأولين ـ لعلمهم بدقه وجله وتفاصيله وجمله. ساءت ظنونهم بنفوسهم حتى خشوا أن يكونوا من جملة المنافقين. قال عمر بن الخطاب لحذيفة رضى الله عنهما يا حذيفة، نشدتك بالله هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم قال: لا. ولا أزكي بعدك أحدا. وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إن ايمانه كإيمان جبريل وميكائيل. ذكره البخاري. وذكر عن الحسن البصري. ما أمنه إلا منافق وما خافه الا مؤمن. ولقد ذكر عن بعض الصحابة أنه كان يقول في دعائه. اللهم إني أعوذ بك من خشوع النفاق قيل: وما خشوع النفاق قال: أن يرى البدن خاشعا والقلب ليس بخاشع.

تالله لقد ملئت قلوب القوم ايمانا ويقينا، وخوفهم من النفاق شديد. وهمهم لذلك ثقيل، وسواهم كثير منهم لا يجاوز ايمانهم حناجرهم. وهم يدعون أن ايمانهم كإيمان جبريل وميكائيل. قلوبهم عن الخيرات لاهية. وأجسادهم اليها ساعية. والفاحشة في فجاجهم فاشية. واذا سمعوا الحق كانت قلوبهم عن سماعه قاسية. واذا حضروا الباطل وشهدوا الزور انفتحت أبصار قلوبهم، وكانت آذانهم واعية. فهذه ـ والله ـ أمارات النفاق فاحذرها أيها الرجل قبل أن تنزل بك القاضية. اذا عاهدوا لم يفوا. وإن وعدوا أخلفوا. وإن قالوا لم ينصفوا. وإن دعوا الى الطاعة وقفوا. واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول صدفوا. واذا دعتهم أهواؤهم الى أغراضهم اسرعوا اليها وانصرفوا فذرهم وما اختاروا لأنفسهم من الهوان. والخزي والخسران. فلا تثق بعهودهم. ولا تطئمن الى وعودهم. فانهم فيها كاذبون. وهم لما سواها مخالفون ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون. فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

وأما الفسوق: فكلامنا الآن فيما تجب التوبة منه. وهو قسمان: فسق من جهة العمل. وفسق من جهة الاعتقاد. ففسق العمل نوعان: مقرون بالعصيان ومفرد. فالمقرون بالعصيان: هو ارتكاب ما نهى الله عنه. والعصيان هو عصيان أمره. فالفسق أخص بارتكاب النهي. ولهذا يطلق عليه كثيرا كقوله تعالى ﴿وان تفعلوا فانه فسوق بكم﴾ والمعصية. أخص بمخالفة الأمر كقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم. ويطلق كل منهما على صاحبه كقوله تعالى (إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) فسمى مخالفته للأمر فسقا وقال (وعصى آدم ربه فغوى) فسمى ارتكابه للنهي معصية فهذا عند الإفراد. فاذا اقترنا كان أحدهما لمخالفة الأمر والآخر لمخالفة النهي. والتقوى: اتقاء مجموع الأمرين. وبتحقيقها تصح التوبة من الفسوق والعصيان بأن يعمل العبد بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله ويترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله.

وفسق الاعتقاد: كفسق أهل البدع الذين يؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر ويحرمون ما حرم الله. ويوجبون ما أوجب الله. ولكن ينفون كثيرا مما أثبت الله ورسوله. جهلا وتأويلا. وتقليدا للشيوخ. ويثبتون مالم يثبته الله ورسوله كذلك وهؤلاء كالخوارج المارقة، وكثير من الروافض، والقدرية والمعتزلة، وكثير من الجهمية الذين ليسوا غلاة في التجهم. وأما غالية الجهمية: فكغلاة الرافضة. ليس للطائفتين في الإسلام نصيب. ولذلك أخرجهم جماعة من السلف من الاثنتين والسبعين فرقة، وقالوا: هم مباينون للملة.

فالتوبة من هذا الفسوق: باثبات ما أثبته الله لنفسه ورسوله من غير تشبيه ولا تمثيل، وتنزيهه عما نزه نفسه عنه ونزهه عنه رسوله من غير تحريف ولا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعطيل. وتلقي النفي والاثبات من مشكاة الوحي. لا من آراء الرجال ونتائج أفكارهم التي هي منشأ البدعة والضلالة.

وشرط في توبة المنافق الإخلاص لأن ذنبه بالرياء فقال تعالى ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار ثم قال ـ الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين أجرا عظيما﴾

ولهذا كان الصحيح من القولين: ان توبة القاذف: إكذابه نفسه لأنه ضد الذنب الذي ارتكبه، وهتك به عرض المسلم المحصن فلا تحصل التوبة منه الا بإكذابه نفسه، لينتفي عن المقذوف العار الذي الحقه به بالقذف. وهو مقصود التوبة.

فان من أقسام الكذب: الخبر الذي لا يجوز الاخبار به. وان كان خبره مطابقا لمخبره. كخبر القاذف المنفرد برؤية الزنا. والإخبار به فانه كاذب في حكم الله. وان كان خبره مطابقا لمخبره. ولهذا قال تعالى ﴿فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ فحكم الله في مثل هذا أن يعاقب عقوبة المفتري الكاذب. وان كان خبره مطابقا. وعلى هذا فلا تتحقق توبته حتى يعترف بأنه كاذب عند الله، كما أخبر الله تعالى به عنه. فإذا لم يعترف بانه كاذب وجعله الله كاذبا، فأي توبة له. وهل هذا الا محض الإصرار والمجاهرة بمخالفة حكم الله الذي حكم به عليه.

★ ★ ★

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

واما الإثم والعدوان: فهما قرينان. قال الله تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ وكل منهما اذا أفرد تضمن الآخر. فكل اثم عدوان. إذ هو فعل ما نهى الله عنه، أو ترك ما أمر الله به. فهو عدوان على أمره ونهيه. وكل عدوان إثم. فإنه يأثم به صاحبه. ولكن عند اقترانهما فهما شيئان بحسب متعلقهما ووصفهما.

فالاثم: ما كان محرم الجنس كالكذب، والزنا، وشرب الخمر ونحو ذلك.

والعدوان: تعدي ما أبيح منه الى القدر المحرم والزيادة، كالاعتداء في أخذ الحق ممن هو عليه، اما بأن يتعدى على ماله أو بدنه أو عرضه.

فإذا غصبه خشبة لم يرضى عوضها الا داره. واذا أتلف عليه شيئا اتلف عليه أضعافه. واذا قال فيه كلمة قال فيه أضعافها. فهذا كله عدوان وتعد للعدل وهذا العدوان نوعان: عدوان في حق الله، وعدوان في حق العبد.

والإثم، والعدوان. هما الإثم والبغي المذكوران في سورة الاعراف. مع أن البغي غالب استعماله في حقوق العباد والاستطالة عليهم. وعلى هذا: فاذا قرن البغي بالعدوان كان البغي ظلمهم بمحرم الجنس، كالسرقة والكذب والبهت والابتـداء بالأذى. والعدوان: تعدي الحق في استيفائه الى أكبر منه. فيكون البغي والعدوان في حقهم كالاثم والعدوان في حدود الله.

فها هنا أربعة أمور: حق لله وله حد، وحق لعباده وله حد فالبغي والعدوان والظلم تجاوز الحدين الى ما وراءهما، أو التقصير عنهما فلا يصل اليهما.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

وأما الفحشاء والمنكر: فالفحشاء صفة لموصوف قد حذف تجريدا لقصد الصفة. وهي الفعلة الفحشاء، والخصلة الفحشاء. وهي ما ظهر قبحها لكل أحد. واستفحشه كل ذي عقل سليم. ولهذا فسرت بالزنا واللواط، وسماهما الله تعالى فاحشة. لتناهي قبحهما. وكذلك القبيح من القول يسمى فحشا وهو ما ظهر قبحه جدا من السب القبيح والقذف ونحوه.

وأما المنكر: فصفة لموصوف محذوف أيضا. أي الفعل المنكر. وهو الذي تستنكره العقول والفطر. ونسبته اليها كنسبة الرائحة القبيحة الى حاسة الشم. والمنظر القبيح الى العين. والطعم المستكره الى الذوق والصوت المستنكر الى الأذن. فما اشتد انكار العقول والفطر له فهو فاحشة كما فحش انكار الحواس له من هذه المدركات فالمنكر لها: ما لم تعرفه ولم تألفه. والقبيح المستنكر لها الذي تشتد نفرتها عنه هو الفاحشة. ولذلك قال ابن عباس الفاحشة الزنا. والمنكر ما لم يعرف في شريعة ولا سنة. فتأمل تفريقه بين ما لم يعرف حسنه ولم يؤلف. وبين ما استقر قبحه في الفطر والعقول.

★ ★ ★

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

واما القول على الله بلا علم: فهو أشد هذه المحرمات تحريما. وأعظمها إثما. ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من المحرمات التي اتفقت عليها الشرائع والأديان. ولا تباح بحال. بل لا تكون الا محرمة. وليست كالميتة والدم ولحم الخنزير الذي يباح في حال دون حال.

فان المحرمات نوعان: محرم لذاته لا يباح بحال، ومحرم تحريما عارضا في وقت دون وقت. قال الله تعالى في المحرم لذاته ﴿قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ ثم انتقل منه الى ما هو أعظم منه فقال ﴿والإثم والبغي بغير الحق﴾ ثم انتقل منه الى ما هو أعظم منه فقال ﴿وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا﴾ ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال ﴿وان تقولوا على الله مالا تعلمون﴾ فهذا أعظم المحرمات عند الله وأشدها إثما. فانه يتضمن الكذب على الله ونسبته الى مالا يليق به وتغيير دينه وتبديله، ونفي ما اثبته واثبات ما نفاه وتحقيق ما أبطله وإبطال ما حققه، وعداوة من والاه وموالاة من عاداه، وحب ما أبغضه، وبغض ما أحبه ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه، ولا أشد إثما. وهو أصل الشرك والكفر. وعليه أسست البدع والضلالات. فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم.

وأصل الشرك والكفر: هو القول على الله بلا علم. فان المشرك يزعم أن من اتخذه معبودا من دون الله، يقر به الى الله ويشفع له عنده. ويقضي حاجته بواسطته، كما تكون الوسائط عند الملوك. فكل مشرك قائل على الله بلا علم. دون العكس اذ القول على الله بلا علم قد يتضمن التعطيل والابتداع في دين الله فهو أعم من الشرك. والشرك فردٍ من أفراده ولهذا كان الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم موجبا لدخول النار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واتخاذ منزلة منها مبوءا وهو المنزل اللازم الذي لا يفارقه صاحبه. لأنه متضمن للقول على الله بلا علم كصريح الكذب عليه ﴿ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ فذنوب أهل البدع كلها داخلة تحت هذا الجنس فلا تتحقق التوبة منه الا بالتوبة من البدع. وأنى بالتوبة منها لمن لم يعلم أنها بدعة، أو يظنها سنة، فهو يدعو اليها ويحض عليها فلا تنكشف لهذا ذنوبه التي تجب عليه التوبة منها الا بتضلعه من السنة. وكثرة اطلاعه عليها، ودوام البحث عنها والتفتيش عليها، ولا ترى صاحب بدعة كذلك أبدا. فان السنة ـ بالذات ـ تمحق البدعة. ولا تقوم لها. واذا طلعت شمسها في قلب العبد قطعت من قلبه ضباب كل بدعة، وأزالت ظلمة كل ضلالة إذ لا سلطان للظلمة مع سلطان الشمس. ولا يرى العبد الفرق بين السنة والبدعة ويعينه على الخروج من ظلمتها الى نور السنة الا المتابعة والهجرة بقلبه كل وقت الى الله بالاستعانة والإخلاص وصدق اللجإ الى الله والهجرة الى رسوله صلى الله عليه وسلم بالحرص على الوصول الى أقواله وأعماله وهديه وسنته (فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله) ومن هاجر الى غير ذلك فهو حظه ونصيبه في الدنيا والآخرة. والله المستعان.

★ ★ ★

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

ومن احكام التوبة: ان من تعذر عليه أداء الحق الذي فرط فيه، ولم يمكنه تداركه ثم تاب. فكيف حكم توبته وهذا يتصور في حق الله سبحانه وحقوق عباده.

فأما في حق الله: فكمن ترك الصلاة عمدا من غير عذر. مع علمه بوجوبها وفرضها. ثم تاب وندم. فاختلف السلف في هذه المسألة. فقالت طائفة: توبته بالندم، والاشتغال بأداء الفرائض المستأنفة. وقضاء الفرائض المتروكة. وهذا قول الأئمة الأربعة وغيرهم وقالت طائفة: توبته باستئناف العمل في المستقبل ولا ينفعه تدارك ما مضى بالقضاء. ولا يقبل منه. فلا يجب عليه. وهذا قول أهل الظاهر. وهو مروي عن جماعة من السلف واما في حقوق العباد: فيتصور في مسائل. إحداها: من غصب أموالا. ثم تاب وتعذر عليه ردها الى أصحابها، أو الى ورثتهم لجهله بهم أو لانقراضهم أو لغير ذلك. فاختلف في توبة مثل هذا. فقالت طائفة: لا توبة له الا بأداء هذه المظالم الى أربابها. فاذا كان ذلك قد تعذر عليه. فقد تعذرت عليه التوبة. والقصاص أمامه يوم القيامة بالحسنات والسيئات ليس الا. وقالت طائفة: يدفعها الى الإمام أو نائبه لأنه وكيل أربابها فيحفظها لهم ويكون حكمها حكم الأموال الضائعة وقالت طائفة أخرى: بل باب التوبة مفتوح لهذا ولم يغلقه الله عنه ولا عن مذنب. وتوبته: ان يتصدق بتلك الأموال عن أربابها. فاذا كان يوم استيفاء الحقوق كان لهم الخيار بين أن يجيزوا ما فعل وتكون اجورها لهم وبين ان لا يجيزوا ويأخذوا من حسناته بقدر أموالهم. ويكون ثواب تلك الصدقة له إذ لا يبطل الله سبحانه ثوابها. ولا يجمع لأربابها بين العوض والمعوض فيغرمه اياها ويجعل أجرها لهم. وقد غرم من حسناته بقدرها. وهذا مذهب جماعة من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصحابة. كما هو مروي عن ابن مسعود ومعاوية وحجاج بن الشاعر.
قالوا: وكذلك اللقطة إذا لم يجد ربها بعد تعريفها ولم يرد أن يتملكها تصدق بها عنه. فان ظهر مالكها خيره بين الأجر والضمان.
ولقد سئل شيخنا أبو العباس ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ سأله شيخ فقال. هربت من استاذي وأنا صغير الى الآن لم أطلع له على خبر، وأنا مملوك، وقد خفت من الله عز وجل وأريد براءة ذمتي من حق استاذي من رقبتي. وقد سألت جماعة من المفتين. فقالوا. اذهب فاقعد في المستودع. فضحك شيخنا. وقال: تصدق بقيمتك أغلى ما كانت عن سيدك ولا حاجة لك بالمستودع تقعد فيه عبثا في غير مصلحة واضرارا بك وتعطيلا عن مصالحك. ولا مصلحة لاستاذك في هذا ولا لك ولا للمسلمين. أو نحو هذا الكلام والله أعلم[1].

---

(١) من أراد تحقيق الأدلة في كل ما ذكر في هذا الفصل فعليه بمراجعة الأصل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

اذا عاوض غيره معاوضة محرمة، وقبض العوض كالزانية والمغني وبائع الخمر وشاهد الزور ونحوهم ـ ثم تاب والعوض بيده. فقالت طائفة: يرده الى مالكه اذ هو عين ماله. ولم يقبضه باذن الشارع. ولا حصل لربه في مقابلته نفع مباح. وقالت طائفة: بل توبته بالتصدق به. ولا يدفعه الى من أخذه منه. وهو اختيار شيخ الاسلام ابن تيمية. وهو أصوب القولين. فان قابضه انما قبضه ببذل مالكه له ورضاه ببذله. وقد استوفى عوضه المحرم فكيف يجمع له بين العوض والمعوض. وكيف يرد عليه مالا قد استعان به على معاصي الله ورضي باخراجه فيما يستعين به عليها ثانيا وثالثا وهل هذا الا محض اعانته على الإثم والعدوان. وهكذا توبة من اختلط ماله الحلال بالحرام وتعذر عليه تمييزه: أن يتصدق بقدر الحرام ويطيب باقي ماله والله أعلم.

★ ★ ★

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

إذا غصب مالا ومات ربه وتعذر رده عليه تعين عليه رده الى وارثه. فان مات الوارث رده الى وارثه. وهلم جرا فان لم يرده الى ربه ولا إلى أحد ورثته فهل تكون المطالبة به في الآخرة للموروث، إذ هو ربه الأصلي وقد غصبه عليه أو للوارث الأخير. اذ الحق قد انتقل اليه.

فيه قولان للفقهاء. وهما وجهان في مذهب الشافعي. ويحتمل أن يقال: المطالبة للموروث، ولكل واحد من الورثة اذ كل منهم قد كان يستحقه. ويجب عليه الدفع اليه. فقد ظلمه بترك اعطائه ما وجب عليه دفعه اليه. فيتوجه عليه المطالبة في الآخرة له. فان قيل كيف يتخلص بالتوبة من حقوق هؤلاء: قيل: طريق التوبة: أن يتصدق عنهم بمال تجري منافع ثوابه عليهم بقدر ما فات كل واحد منهم من منفعة ذلك المال لو صار اليه متحريا للممكن من ذلك. وهكذا لو تطاولت على المال سنون، وقد كان يمكن ربه أن ينميه بالربح. فتوبته بأن يخرج المال ومقدار ما فوته من ربح مالـه فإن كان قد ربـح فيه بنفسه فقيل: الربح كله للمالك. وهو قول الشافعي وظاهر مذهب احمد رحمهما الله.

وقيل: كله للغاصب. وهو مذهب أبي حنيفة ومالك رحمهما الله وكذلك. لو أودعه مالا فاتجر به وربح. فربحه له دون مالكه عندهما وضمانه عليه. وفيه قول ثالث: انهما شريكان في الربح وهو رواية عن احمد رحمه الله، واختيار شيخنا رحمه الله. وهو أصح الأقوال فتضم حصة المالك من الربح الى أصل المال. ويتصدق بذلك. وهكذا لو غصب ناقة أو شاة، فنتجت أولادا. فقيل: أولادها كلها للمالك. فان ماتت ـ أو شيء من النتاج ـ رد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أولادها وقيمة الأم وما مات من النتاج. هذا مذهب الشافعي واحمد في المشهور عند أصحابه. وقال مالك: اذا ماتت فربها بالخيار بين أخذ قيمتها يوم ماتت وترك نتاجها للغاصب، وبين أخذ نتاجها وترك قيمتها. وعلى القول الثالث الراجح: يكون عليه قيمتها. وله نصف النتاج. والله أعلم.

★ ★ ★

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

واختلفوا فيما اذا تاب القاتل وسلم نفسه. فقتل قصاصا، هل يبقى عليه يوم القيامة للمقتول حق.

فالصواب والله أعلم أن يقال: اذا تاب القاتل من حق الله وسلم نفسه طوعا الى الوارث، ليستوفي منه حق موروثه سقط عنه الحقان وبقي حق الموروث لا يضيعه الله. ويجعل من تمام مغفرته للقاتل: تعويض المقتول. لأن مصيبته لم تنجبر بقتل قاتله. والتوبة النصوح تهدم ما قبلها. فيعوض هذا عن مظلمته. ولا يعاقب هذا لكمال توبته. وصار هذا كالكافر المحارب لله ولرسوله اذا قتل مسلما في الصف. ثم أسلم وحسن اسلامه. فان الله سبحانه يعوض هذا الشهيد المقتول. ويغفر للكافر باسلامه. ولا يؤاخذه بقتل المسلم ظلما. فان هدم التوبة لما قبلها كهدم الإسلام لما قبله.

وعلى هذا لو سلم نفسه وانقاد. فعفا عنه الولي، وتاب القاتل توبة نصوحا. فالله تعالى يقبل توبته ويعوض المقتول فهذا الذي يمكن أن يصل اليه نظر العالم واجتهاده. والحكم بعد ذلك لله. ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم.

٢٩ فصل في مشاهد الخلق في المعصية

وهي ثلاثة عشر مشهدا. مشهد الحيوانية وقضاء الشهوة. ومشهد اقتضاء رسوم الطبيعة ولوازم الخلقة. ومشهد الجبر. ومشهد القدر. ومشهد الحكمة. ومشهد التوفيق والخذلان. ومشهد التوحيد. ومشهد الأسماء والصفات. ومشهد الإيمان وتعدد شواهده. ومشهد الرحمة. ومشهد العجز والضعف. ومشهد الذل والافتقار. ومشهد المحبة والعبودية.

فالأربعة الأول للمنحرفين. والثمانية البواقي لأهل الإستقامة واعلاها المشهد العاشر.

وهذا الفصل من أجل فصول الكتاب. وانفعها لكل أحد.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

فأما مشهد الحيوانية وقضاء الشهوة: فمشهد الجهال، الذين لا فرق بينهم وبين سائر الحيوان الا في اعتدال القامة ونطق اللسان. ليس همهم الا مجرد نيل الشهوة بأي طريق أفضت اليها فهؤلاء نفوسهم نفوس حيوانية.

فمنهم: من نفسه كلبية. لو صادف جيفة تشبع ألف كلب لوقع عليها وحماها من سائر الكلاب. فلا تقربها الكلاب الا على كره منه وغلبة. إن أطعمته بصبص بذنبه ودار حولك. وان منعته هرك ونبحك.

ومنهم: من نفسه حمارية. لم تخلق الا للكد والعلف. كلما زيد في علفه زيد في كده، أبكم الحيوان. وأقله بصيرة ولهذا مثل الله سبحانه وتعالى به من حمله كتابه. فلم يحمله معرفة ولا فقها ولا عملا.

ومنهم من نفسه سبعية همته العدوان على الناس وقهرهم بما وصلت إليه قدرته.

ومنهم: من نفسه فأرية. فاسق بطبعه مفسد لما جاوره، ومنهم: من نفسه على نفوس ذوات السموم والحمات، كالحية والعقرب وغيرهما. وهذا الضرب هو الذي يؤذي بعينه فيدخل الرجل القبر والجمل القدر. والعين وحدها لم تفعل شيئا. وانما النفس الخبيثة السمية تكيفت بكيفية غضبية مع شدة حسد واعجاب وقابلت المعين على غرة منه وغفلة. وهو اعزل من سلاحه فلدغته كالحية التي تنظر الى موضع مكشوف من بدن الإنسان فتنهشه. فالعاين. لا يؤثر في شاكي السلاح فحق على من اراد حفظ نفسه وحمايتها: أن لا يزال متدرعا متحصنا لابسا أداة الحرب، مواضبا على اوراد التعوذات والتحصينات النبوية التي في القرآن، والتي في السنة واذا عرف الرجل بالأذى بالعين: ساغ ـ بل وجب ـ حبسه وافراده عن الناس ويطعم ويسقى حتى يموت. ذكر ذلك غير واحد من الفقهاء. ولا ينبغي أن يكون في ذلك خلاف. لأن هذا من نصيحة المسلمين ودفع الأذى عنهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن الناس: من طبعه طبع خنزير: يمر بالطيبات فلا يلوي عليها. فاذا قام الإنسان عن رجيعه قمه. وهكذا كثير من الناس يسمع منك ويرى من المحاسن أضعاف اضعاف المساويء فلا يحفظها ولا ينقلها ولا تناسبه. فاذا رأى سقطة أو كلمة عوراء وجد بغيته وما يناسبها فجعلها فاكهته ونقله [1].

ومنهم: من هو على طبيعة الجمل احقد الحيوان. وأغلظه كبدا. ومنهم: من هو على طبيعة الدب ابكم خبيث. وعلى طبيعة القرد وأحمد طبائع الحيوانات: طبائع الخيل التي هي أشرف الحيوانات نفسا وأكرمها طبعا. وكذلك الغنم. وكل من ألف ضربا من ضروب هذه الحيوانات اكتسب من طبعه وخلقه. فان تغذى بلحمه كان الشبه أقوى. فان الغاذي شبيه بالمغتذي. ولهذا حرم الله أكل لحوم السباع وجوارح الطير لما تورث آكلها من شبه نفوسها بها والله أعلم. وليس هذا موضع ذكر هذه المسائل. وانما ذكرت لما ذكرنا أن من النفوس البشرية ما هي على نفوس الحيوانات العادية وغيرها وهذا هو تأويل سفيان بن عيينة في قوله تعالى ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ والمقصود: ان أصحاب هذا المشهد ليس لهم شهود سوى ميل نفوسهم وشهواتهم. لا يعرفون ما وراء ذلك ألبتة.

---

(١) ومنهم: من هو على طبيعة الطاووس ليس له إلا التَّطوس والتزين بالريش وليس وراء ذلك شيء.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فصل المشهد الثاني

مشهد رسوم الطبيعة ولوازم الخلقة: كمشهد زنادقة الفلاسفة والأطباء، الذين يشهدون أن ذلك من لوازم الخلقة الإنسانية وأن تركيب الإنسان من الطبائع الأربع وامتزاجها واختلاطها كما يقتضي بغي بعضها على بعض وخروجه عن الإعتدال ـ بحسب اختلاف هذه الأخلاط. فمشهد هؤلاء: من حركات النفس الاختيارية الموجبة للجنايات، كمشهدهم من حركات الطبيعة الإضطرارية الموجبة للتغيرات. وليس لهم مشهد وراء ذلك.

★ ★ ★

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصل المشهد الثالث

مشهد أصحاب الجبر. وهم الذين يشهدون انهم مجبورون على أفعالهم وانها واقعة بغير قدرتهم، بل لا يشهدون أنها أفعالهم ألبتة. وهؤلاء اذا انكرت عليهم أفعالهم احتجوا بالقدر. وحملوا ذنوبهم عليه. وهؤلاء اعداء الله حقا وأولياء ابليس الذين قال فيهم شيخ الاسلام ابن تيمية في تائيته ويدعى خصوم الله يوم معادهم الى النار طرا فرقة القدرية

★ ★ ★

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصل المشهد الرابع

مشهد القدرية النفاة. يشهدون أن هذه الجنايات والذنوب هم الذين أحدثوها، وأنها واقعة بمشيئتهم، دون مشيئة الله تعالى وان الله لم يقدر ذلك عليهم ولم يكتبه ولا شاء ولا خلق أفعالهم. ويشهدون أنه يكون في ملك الله مالا يشاؤه وأنه يشاء مالا يكون. وأن العباد خالقون لأفعالهم بدون مشيئة الله فالمعاصي والذنوب خلقهم وموجب مشيئتهم لا انها خلق الله ولا تتعلق بمشيئته. وهم لذلك مبخوسوا الحظ جدا من الاستعانة بالله والتوكل عليه والإعتصام به وسؤاله أن يهديهم. وأن يثبت قلوبهم وأن لا يزيغها وأن يوفقهم لمرضاته ويجنبهم معصيته. إذ هذا كله واقع بهم وعين أفعالهم لا يدخل تحت مشيئة الرب شيء منها.

★ ★ ★

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصل المشهد الخامس

وهو أحد مشاهد أهل الاستقامة: مشهد الحكمة: وهو مشهد حكمة الله في تقديره على عبده ما يبغضه سبحانه ويكرهه ويلوم ويعاقب عليه وانه لو شاء لعصمه منه ولحال بينه وبينه وأنه سبحانه لا يعصى قسرا وأنه لا يكون في العالم شيء إلا بمشيئته ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾.

وهؤلاء يشهدون أن الله سبحانه لم يخلق شيئا عبثا ولا سدى وأن له الحكمة البالغة في كل ما قدره وقضاه من خير وشر وطاعة ومعصية وحكمة باهرة تعجز العقول عن الإحاطة بكنهها وتكل الألسن عن التعبير عنها.

ولله في كل تحريكة وتسكينة أبدا شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وأما حظ العبد في نفسه وما يخصه من شهود هذه الحكمة: فبحسب استعداده وقوة بصيرته وكمال علمه ومعرفته بالله واسمائه وصفاته، ومعرفته بحقوق العبودية والربوبية، وكل مؤمن له من ذلك شرب معلوم ومقام لا يتعداه ولا يتخطاه. والله الموفق المعين.

★ ★ ★

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

المشهد السادس مشهد التوحيد

وان يشهد انفراد الرب تبارك وتعالى بالخلق والحكم، وانه ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن، وانه لا تتحرك ذرة الا بإذنه وأن الخلق مقهورون تحت قبضته، وانه ما من قلب الا هو بين اصبعين من أصابعه. إن شاء أن يقيمه أقامه وان شاء أن يزيغه أزاغه. فالقلوب بيده. وهو مقلبها ومصرفها كيف شاء وكيف أراد. وأنه هو الذي آتى نفوس المؤمنين تقواها، وهو الذي هداها وزكاها، وألهم نفوس الفجار فجورها واشقاها ﴿من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له﴾ يهدي من يشاء بفضله ورحمته ويضل من يشاء بعدله وحكمته. هذا فضله وعطاؤه وما فضل الكريم بممنون. وهذا عدله وقضاؤه ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده، ومن آمن بالقدر صدق ايمانه توحيده. وفي هذا المشهد: يتحقق للعبد مقام ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ علما وحالا، فيثبت قدم العبد في توحيد الربوبية، ثم يرتقي منه صاعدا الى توحيد الإلهية.

والمقصود: أن العبد يحصل له في هذا المشهد من مطالعة الجنايات والذنوب، وجريانها عليه وعلى الخليقة بتقدير العزيز الحكيم. وانه لا عاصم من غضبه واسباب سخطه الا هو. ولا سبيل الى طاعته الا بمعونته. ولا وصول الى مرضاته الا بتوفيقه. فموارد الأمور كلها منه. ومصادرها اليه. وأزمة التوفيق جميعها بيديه. فلا مستعان للعباد الا به، ولا متكل الا عليه كما قال شعيب خطيب الأنبياء «وما توفيقي الا بالله عليه توكلت وإليه أنيب».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

المشهد السابع : مشهد التوفيق والخذلان

وهو من تمام هذا المشهد وفروعه . ولكن افرد بالذكر لحاجة العبد الى شهوده وانتفاعه به . وقد أجمع العارفون بالله . أن التوفيق : هو أن لا يكلك الله الى نفسك . وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك . فالعبيد متقلبون بين توفيقه وخذلانه . بل العبد في الساعة الواحدة ينال نصيبه من هذا وهذا . فان وفقه فبفضله ورحمته . وان خذله فبعدله وحكمته . وهو المحمود على هذا وهذا . له أتم حمد وأكمله ولم يمنع العبد شيئا هو له . وانما منعه ما هو مجرد فضله وعطائه وهو أعلم حيث يضعه وأين يجعله . فمتى شهد العبد هذا المشهد وأعطاه حقه . علم شدة ضرورته وحاجته الى التوفيق في كل نفس وكل لحظة وطرفة عين . وان ايمانه وتوحيده بيده تعالى . لو تخلى عنه طرفة عين لثل عرش توحيده ولخرت سماء إيمانه على الأرض وأن الممسك له : هو من يمسك السماء أن تقع على الأرض الا بإذنه . فهجيري[1] قلبه ودأب لسانه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، يا مصرف القلوب صرف قلبي إلى طاعتك . ودعواه . يا حي يا قيوم ، يا بديع السموات والأرض ، ياذا الجلال والإكرام . لا اله إلا أنت برحمتك استغيث . أصلح لي شأني كله ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ولا الى أحد من خلقك .

ففي هذا المشهد يشهد توفيق الله وخذلانه ، كما يشهد ربوبيته وخلقه . فيسأله توفيقه مسألة المضطر . ويعوذ به من خذلانه عياذ الملهوف . ويلقي نفسه بين يديه طريحا ببابه مستسلما له ، ناكس الرأس بين يديه خاضعا ذليلا مستكينا ، لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

---

(١) هجيرى الانسان : بكسر الهاء وتشديد الجيم المكسورة بالقصر ـ وأنه الذي يلازمه ولا يتركه .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

المشهد الثامن: مشهد الأسماء والصفات

وهـو من أجل المشاهد. وهو أعلى مما قبله وأوسع. والمطلع على هذا المشهـد: معـرفـة تعلق الوجود خلقا وأمرا بالأسماء الحسنى، والصفات العلى، وارتبـاطـه بها. وان كان(١) العالم ـ بما فيه ـ من بعض آثارها ومقتضياتها وهذا من أجل المعارف وأشرفها، وكل اسم من أسمائه سبحانه له صفة خاصة. فان أسماءه أوصاف مدح وكمال. وكل صفة لها مقتض وفعل: اما لازم. واما متعد. ولذلك الفعل تعلق بمفعول هو من لوازمه. وهذا في خلقه وأمره. وثوابه وعقابه. كل ذلك آثار الأسماء الحسنى وموجباتها.

ومن المحال تعطيل اسمائه عن أوصافها ومعانيها، وتعطيل الأوصاف عما تقتضيه وتستدعيه من الأفعال، وتعطيل الأفعال عن المفعولات، كما أنه يستحيل تعطيل مفعوله عن أفعاله وافعاله عن صفاته، وصفاته عن أسمائه وتعطيل أسمائه وأوصافه عن ذاته. واذا كانت أوصافه صفات كمال، وأفعـاله حكما ومصالح، وأسماؤه حسنى: ففرض تعطيلها عن موجباتها مستحيل في حقه.

اذا عرف هذا. فمن أسمائه سبحانه «الغفار» التواب العفو فلابد لهذه الأسماء من متعلقات. ولابد من جناية تغفر، وتوبة تقبل، وجرائم يعفى عنها. ولابد لاسمه الحكيم من متعلق يظهر فيه حكمه. اذ اقتضاء هذه الأسماء لأثارها كاقتضاء اسم الخالق، الرازق، المعطي، المانع: للمخلوق والمرزوق والمعطى والممنوع. وهذه الأسماء كلها حسنى. والرب تعالى يحب ذاته وأوصافه واسماءه. فهو عفو يحب العفو ويحب المغفرة. ويحب التوبة. ويفرح بتوبة عبده حين يتوب اليه أعظم فرح يخطر بالبال.

---

(١) هكذا بالاصل ولعل الصواب: وأن كل العالم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكـان تقـدير ما يغفـره ويعفـو عن فاعله، ويحلم عنه، ويتوب عليه ويسامحه من موجب اسمائه وصفاته. وحصول ما يحبه ويرضاه من ذلك. ومـا يحمد به نفسه ويحمده به أهل سمواته وأهل أرضه: ما هو من موجبات كماله ومقتضى حمده. وهو سبحانه الحميد المجيد، وحمده ومجده يقتضيان آثـارهمـا. ومن آثـارهمـا: مغفـرة الزلات، واقالة العثرات، والعفو عن السيئـات والمسامحة على الجنايات. مع كمال القدرة على استيفاء الحق. والعلـم منه سبحانه بالجناية ومقدار عقوبتها. فحلمه بعد علمه وعفوه بعد قدرتـه. ومغفرته عن كمال عزته وحكمته كما قال المسيح صلى الله عليه وسلم (إن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) أي فمغفرتك عن كمال قدرتك وحكمتك لست كمن يغفر عجزا ويسامح جهلا بقدر الحق. بل انت عليم بحقك. قادر على استيفائه، حكيم في الأخذ به.

فمن تأمل سريان آثار الأسماء الحسنى والصفات في العالم وفي الأمر تبين له أن مصدر قضاء هذه الجنايات من العبيد وتقديرها هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال. وغاياتها ايضا: مقتضى حمده ومجده، كما هو مقتضى ربـوبيتـه وإلهيتـه. فله في كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة، والآيـات الباهرة. والتعرفات الى عباده باسمائه وصفاته. واستدعاء محبتهم له وذكرهم له وشكرهم له وتعبدهم له باسمائه الحسنى. اذ كل اسم فله تعبد مختص به، علما ومعرفة وحالا. واكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسـماء والصفات التي يطلع عليها البشر. فلا تحجبه عبودية اسم عن عبـودية اسم آخـر، كمن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم أو يحجبه عبودية اسم المعطي عن عبودية اسمه المانع أو عبـودية اسمه الرحيم والعفو والغفور عن اسمه المنتقم أو التعبد باسماء التـودد والـبر واللطف والإحسـان عن أسـماء العدل والجبروت والعظمة والكبرياء ونحو ذلك.

وهـذه طريقة الكُمَّل من السائرين الى الله. وهي طريقة مشتقة من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قلب القرآن. قال الله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء الثناء ودعاء التعبد وهو سبحانه يدعو عباده الى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ويثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها. وهو سبحانه يحب موجب اسمائه وصفاته. فهو عليم يحب كل عليم. جواد. يحب كل جواد. وتر يحب الوتر. جميل يحب الجمال عفو يحب العفو وأهله. حيي يحب الحياء وأهله بر يحب الأبرار شكور يحب الشاكرين. صبور يحب الصابرين حليم يحب أهل الحلم. فلمحبته سبحانه للتوبة والمغفرة والعفو والصفح خلق من يغفر له ويتوب عليه ويعفو عنه. وقدر عليه ما يقتضي وقوع المكروه والمبغوض له. ليترتب عليه المحبوب له المرضي له. فتوسطه كتوسط الأسباب المكروهة المفضية الى المحبوب.

فر بما كان مكروه العباد الى محبوبها سبب ما مثله سبب والأسباب ـ مع مسبباتها ـ أربعة أنواع: محبوب يفضي الى محبوب. ومكروه يفضي الى محبوب. وهذان النوعان عليهما مدار أقضيته وأقداره سبحانه بالنسبة الى ما يحبه وما يكرهه والثالث: مكروه يفضي الى مكروه. والرابع: محبوب يفضي الى مكروه. وهذان النوعان ممتنعان في حقه سبحانه، اذ الغايات المطلوبة من قضائه وقدره ـ الذي ما خلق ما خلق ولا قضى ما قضى الا لأجل حصولها ـ لا تكون الا محبوبة للرب مرضية له. والأسباب الموصلة اليها منقسمة الى محبوب له ومكروه له. فالطاعات والتوحيد: أسباب محبوبة له موصلة الى الإحسان والثواب المحبوب له ايضا. والشرك والمعاصي أسباب مسخوطة له، موصلة الى العدل المحبوب له وان كان الفضل احب اليه من العدل. فاجتماع العدل والفضل احب اليه من انفراد أحدهما عن الآخر لما فيهما من كمال الملك والحمد، وتنوع الثناء وكمال القدرة.

فليعط اللبيب هذا الموضع حقه من التأمل. فانه مزلة أقدام ومضلة أفهام. ولو أمسك عن الكلام من لا يعلم لقل الخلاف. وهذا المشهد أجل من أن يحيط به كتاب، أو يستوعبه خطاب وانما أشرنا اليه أدنى اشارة تطلع على ما وراءها. والله الموفق والمعين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

المشهد التاسع: مشهد زيادة الإيمان وتعدد شواهده

وهذا من ألطف المشاهد، وأخصها بأهل المعرفة. ولعل سامعه يبادر الى إنكاره، ويقول: كيف يشهد زيادة الإيمان من الذنوب والمعاصي. ولا سيما ذنوب العبد ومعاصيه وهل ذلك الا منقص للإيمان، فانه باجماع السلف: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

فاعلم أن هذا حاصل من التفات العارف الى الذنوب والمعاصي منه ومن غيره والى ترتيب آثارها عليها. وترتيب هذه الأثار عليها علم من أعلام النبوة. وبرهان من براهين صدق الرسل، وصحة ما جاؤا به. فان الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ أمروا العباد بما فيه صلاح ظواهرهم وبواطنهم في المعاش والمعاد. واخبروهم عن الله عز وجل انه يحب كذا وكذا، ويثيب عليه بكذا وكذا، وانه يبغض كيت وكيت، ويعاقب عليه بكيت وكيت. وانه اذا اطيع بما أمر به: شكر عليه بالإمداد والزيادة، والنعم في القلوب والأبدان والأموال. ووجد العبد زيادته وقوته في حاله كلها، وانه اذا خولف أمره ونهيه، ترتب عليه من النقص والفساد، والضعف، والذل والمهانة، والحقارة، وضيق العيش وتنكد الحياة ما ترتب، كما قال تعالى ﴿من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ وقال ﴿قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير) وقال تعالى ﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله﴾ وقال تعالى ﴿ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفسرت المعيشة الضنك: بعذاب القبر. والصحيح: أنها في الدنيا، وفي البرزخ. فان من أعرض عن ذكره الذي أنزله، فله من ضيق الصدر ونكد العيش، وكثرة الخوف، وشدة الحرص والتعب على الدنيا والتحسر على فواتها قبل حصولها وبعد حصولها، والآلام التي في خلال ذلك ـ ما لا يشعر به القلب، لسكرته وانغماسه في السكر. فهو لا يصحو ساعة الا أحس وشعر بهذا الألم. فبادر الى ازالته بسكر ثان. فهو هكذا مدة حياته وأي عيشة أضيق من هذه لو كان للقلب شعور.

فقلوب أهل البدع والمعرضين عن القرآن، واهل الغفلة عن الله وأهل المعاصي: في جحيم قبل الجحيم الأكبر. وقلوب الأبرار في نعيم قبل النعيم الأكبر ﴿ان الأبرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم﴾ هذا في دورهم الثلاث ليس مختصا بالدار الآخرة. وان كان تمامه وكماله وظهوره: انما هو في الدار الآخرة، وفي البرزخ دون ذلك كما قال تعالى ﴿وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك﴾ وقال تعالى ﴿ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون﴾ وفي هذه الدار دون ما في البرزخ، ولكن يمنع من الإحساس به. الإستغراق في سكرة الشهوات وطرح ذلك عن القلب وعدم التفكر فيه.

والعبد قد يصيبه ألم حسي فيطرحه عن قلبه، ويقطع التفاته عنه. ويجعل اقباله على غيره، لئلا يشعر به جملة. فلو زال عنه ذلك الإلتفات، لصاح من شدة الألم. فما الظن بعذاب القلوب وآلامها.

وقد جعل الله سبحانه للحسنات والطاعات آثاراً محبوبة لذيذة طيبة. لذتها فوق لذة المعصية بأضعاف مضاعفة. لا نسبة لها إليها. وجعل للسيئات والمعاصي آلاماً وآثارا مكروهة وحزازات تربو على لذة تناولها بأضعاف مضاعفة.

قال ابن عباس ان للحسنة نورا في القلب، وضياء في الوجه، وقوة في البدن، وزيادة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق. وان للسيئة سوادا في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوجه، وظلمة في القلب، ووهنا في البدن ونقصا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق: وهذا يعرفه صاحب البصيرة. ويشهده من نفسه ومن غيره.

فما حصل للعبد حال مكروهة قط الا بذنب. وما يعفو الله عنه أكثر. قال الله تعالى ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ وقال لخيار خلقه وأصحاب نبيه ﴿أولمّا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم﴾ وقال ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾. والمراد بالحسنة والسيئة هنا: النعم والمصائب التي تصيب العبد من الله. ولهذا قال «ما أصابك» ولم يقل ما أصبت. فكل نقص وبلاء وشر في الدنيا والآخرة. فسببه الذنوب، ومخالفة أوامر الرب فليس في العالم شر قط الا الذنوب وموجباتها.

وآثار الحسنات والسيئات في القلوب والأبدان والأموال أمر مشهود في العالم لا ينكره ذو عقل سليم. بل يعرفه المؤمن والكافر، والبر والفاجر. وشهود العبد هذا في نفسه وفي غيره، وتأمله ومطالعته: مما يقوي إيمانه بما جائت به الرسل وبالثواب والعقاب فان هذا عدل مشهود محسوس في هذا العالم. ومثوبات وعقوبات عاجلة، دالة على ما هو أعظم منها لمن كانت له بصيرة. كما قال بعض الناس: اذا صدر مني ذنب ولم ابادره. ولم اتداركه بالتوبة: انتظرت أثره السيء. فاذا أصابني ـ أو فوقه أو دونه ـ كما حسبت يكون هجيراي: أشهد أن لا اله الا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله. ويكون ذلك من شواهد الإيمان وأدلته. فإن الصادق متى أخبرك أنك اذا فعلت كذا وكذا. ترتب عليه من المكروه كذا وكذا. فجعلت كلما فعلت شيئا من ذلك حصل لك ما قال من المكروه، لم تزدد الا علما بصدقه وبصيرة فيه. وليس هذا لكل احد. بل أكثر الناس ترين الذنوب على قلبه: فلا يشهد شيئا من ذلك ولا يشعر به البتة. وانما يكون هذا القلب فيه نور الايمان وأهوية الذنوب والمعاصي تضعف فيه. فهو يشاهد هذا وهذا ويرى حال مصباح ايمانه مع قوة تلك الأهوية والرياح فيرى نفسه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كراكب البحر عند هيجان الرياح وتقلب السفينة وتكفئها ولا سيما اذا انكسرت به وبقي على لوح تلعب به الرياح. فهكذا المؤمن يشاهد نفسه عند ارتكاب الذنوب اذا أريد به الخير. وإن أريد به غير ذلك فقلبه في واد آخر. ومتى انفتح هذا الباب للعبد: انتفع بمطالعة تأريخ العالم، وأحوال الأمم. وما جريات الخلق. بل انتفع بما جريات أهل زمانه وما يشاهده من أحوال الناس وفهم حينئذ معنى قوله تعالى ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ وقوله ﴿شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وألوا العلم قائما بالقسط لا له الا هو العزيز الحكيم﴾ فكل ما تراه في الوجود من شر وألم وعقوبة وجدب ونقص في نفسك وفي غيرك. فهو من قيام الرب تعالى بالقسط. وهو عدل الله وقسطه. وإن أجراه على يد ظالم. فالمسلط له أعدل العادلين. كما قال تعالى لمن أفسد في الأرض ﴿بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار﴾ الآية. فالذنوب مثل السموم مضرة بالذات. فان تداركها من سقي بالأدوية المقاومة لها، والا قهرت القوة الإيمانية. وكان الهلاك. كما قال بعض السلف: المعاصي بريد الكفر، كما أن الحمى بريد الموت.

فشهود العبد نقص حاله اذا عصى ربه، وتغير القلوب عليه وجفوها منه وانسداد الأبواب في وجهه، وتوعر المسالك عليه وهوانه على أهل بيته وأولاده وزوجته واخوانه. وتطلبه ذلك حتى يعلم من أين أتي. ووقوعه على السبب الموجب لذلك مما يقوي ايمانه. فان اقلع وباشر الأسباب التي تفضي به الى ضد هذه الحال. رأى العز بعد الذل، والغنى بعد الفقر، والسرور بعد الحزن، والأمن بعد الخوف، والقوة في قلبه بعد ضعفه ووهنه ازداد إيمانا مع إيمانه. فتقوى شواهد الإيمان في قلبه وبراهينه وأدلته في حال معصيته وطاعته. فهذا من الذين قال الله فيهم ﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾. وصاحب هذا المشهد متى تبصر فيه وأعطاه حقه: صار من أطباء القلوب العالمين بدائها ودوائها. فنفعه الله في نفسه. ونفع به من شاء من خلقه. والله أعلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

المشهد العاشر: مشهد الرحمة

فان العبد اذا وقع في الذنب خرج من قلبه تلك الغلظة، والقسوة، والكيفية الغضبية التي كانت عنده لمن صدر منه ذنب حتى لو قدر عليه لأهلكه، وربما دعا الله عليه أن يهلكه ويأخذه غضبا منه لله، وحرصا على أن لا يعصى فلا يجد في قلبه رحمة للمذنبين الخاطئين. ولا يراهم الا بعين الاحتقار والازدراء. ولا يذكرهم الا بلسان الطعن فيهم، والعيب لهم والذم. فاذا جرت عليه المقادير وخُلي ونفسه استغاث الله والتجأ اليه. وتململ بين يديه تململ السليم. ودعاه دعاء المضطر. فتبدلت تلك الغلظة على المذنبين رقة، وتلك القساوة على الخاطئين رحمة ولينا. مع قيامه بحدود الله. وتبدل دعاؤه عليهم دعاء لهم. وجعل لهم وظيفة من عمره يسأل الله أن يغفر لهم.

فما أنفعه له من مشهد وما أعظم جدواه عليه. والله أعلم.

★ ★ ★ ★ ★ ★

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

فيورثه ذلك: المشهد الحادي عشر.

وهو مشهد العجز والضعف، وانه اعجز شيء عن حفظ نفسه وأضعفه، وانه لا قوة له ولا قدرة ولا حول الا بربه. فيشهد قلبه كريشة ملقاة بأرض فلاة تقلبها الرياح يمينا وشمالا. ويشهد نفسه كراكب سفينة في البحر تهيج بها الرياح وتتلاعب بها الأمواج، ترفعها تارة. وتخفضها تارة أخرى تجري عليه احكام القدر. وهو كالآلة طريحا بين يدي وليه ملقى ببابه واضعا خده على ثرى أعتابه. لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا. ليس له من نفسه الا الجهل والظلم وآثارهما ومقتضياتهما. فالهلاك أدنى اليه من شراك نعله كشاة ملقاة بين الذئاب والسباع. لا يردها عنها الا الراعي. فلو تخلى عنها طرفة عين لتقاسموها أعضاءا.

وهكذا حال العبد ملقى بين الله وبين أعدائه، من شياطين الانس والجن فان حماه منهم وكفهم عنه لم يجدوا اليه سبيلا.

وإن تخلى عنه ووكله إلى نفسه طرفة عين لم ينقسم عليهم، بل هو نصيب من ظفر به منهم. وفي هذا المشهد يعرف نفسه حقاً، ويعرف ربه. وهذا أحد التأويلات للكلام المشهور. «من عرف نفسه عرف ربه» وليس هذا حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو أثر إسرائيلي بغير هذا اللفظ أيضاً (يا إنسان أعرف نفسك تعرف ربك) وفيه ثلاث تأويلات أحدها: أن من عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة. ومن عرفها بالعجز عرف ربه بالقدرة. ومن عرفها بالذل عرف ربه بالعز. ومن عرفها بالجهل عرف ربه بالعلم. فإن الله سبحانه استأثر بالكمال المطلق. والحمد والثناء والمجد والغنى. والعبد فقير ناقص محتاج. وكلما زادت معرفة العبد بنقصه وعيبه وفقره وذله وضعفه: ازدادت معرفته لربه بأوصاف كماله.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمقصود: أن هذا المشهد يُعرِّف العبد أنه عاجز ضعيف فتزول عنه رعونات الدعاوي والإضافات إلى نفسه ويعلم أنه ليس له من الأمر شيء، إن هو إلا محض الفقر والعجز والضعف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

فحينئـذ يطلع منه على المشهد الثاني عشر: وهو مشهد الذل والإنكسار والخضوع والإفتقار للرب جل جلاله. فيشهد في كل ذرّة من ذراته الباطنة والظاهرة ضرورة تامة وافتقاراً تاماً إلى ربه ووليه، ومن بيده صلاحه وفلاحه وهداه وسعـادته. وهذه الحال التي تحصل لقلبه لا تنال العبارة حقيقتها. وإنما تدرك بالحصول. فيحصل لقلبه كسرة خاصة لا يشبهها شيء بحيث يرى نفسه كالإناء المرضوض تحت الأرجل الذي لا شيء فيه ولا به ولا منه ولا فيه منفعة، ولا يرغب في مثله. وأنه لا يصلح للإنتفاع إلا بجبر جديد من صانعه وقيِّمه. فحينئذ يستكثر في هذا المشهد ما من ربه إليه من الخير. ويرى أنه لا يستحق قليلاً منه ولا كثيراً. فأي خيرٍ ناله من الله استكثره على نفسه وعلم أن قَدْره دونه، وأن رحمة ربه هي التي اقتضت ذكره به وسياقته إليه. واستقلَّ ما من نفسه من الطاعات لربه ورآها ـ ولو ساوت طاعـات الثقلين ـ من أقل ما ينبغي لربه عليه. واستكثر قليل معاصيه وذنوبه. فإن الكَسْرة التي حصلت لقلبه أوجبت له هذا كله.

فما أقرب الجبر من هذا القلب المكسور وما أدنى النصر والرحمة والرزق منه وما أنفع هذا المشهد له وأجداه عليه. وذرة من هذا ونَفَس منه أحب إلى الله من طاعات أمثال الجبال من المدلين المعجبين بأعمالهم وعلومهم وأحـوالهم. وأحب القلوب إلى الله سبحـانـه قلب قد تمكنت منـه هذه الكسرة. وملكته هذه الذلة. فهو ناكس الرأس بين يدي ربه. لا يرفع رأسه إليه حياء وخجلاً من الله. قيل لبعض العارفين: أيسجد القلب قال: نعم يسجد سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء. فهذا سجود القلب. فقلب لا تباشره هذه الكسرة فهو غير ساجد السجود المراد منه. وإذا سجـد القلب لله ـ هذه السجـدة العـظمى ـ سجـدت معه جميع الجوارح. وعنا الوجه حينئذٍ للحي القيوم. وخشع الصوت والجوارح كلها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وذل العبد وخضع واستكان، ووضع خده على عتبة العبودية، ناظراً بقلبه إلى ربه ووليه نظر الذليل إلى العزيز الرحيم. فلا يرى إلا متملقاً لربه خاضعاً له ذليلاً مستعطفاً له يسأله عطفه ورحمته. فهو يترضى ربه كما يترضى المحب الكامل المحبة محبوبه المالك له. الذي لا غنى له عنه. ولا بد له منه فليس له همٌّ غير استرضائه واستعطافه. لأنه لا حياة له ولا فلاح إلا في قربه ورضاه عنه ومحبته له يقول: كيف أغضب من حياتي في رضاه. وكيف أعدل عمن سعادتي وفلاحي وفوزي في قربه وحبه وذكره.

◇ ◇ ◇

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

فإذا استبصر في هذا المشهد، وتمكن من قلبه وباشره وذاق طعمه وحلاوته ترقَّى منه إلى:

المشهد الثالث عشر

وهو الغاية التي شمَّر إليها السالكون. وأمَّها القاصدون ولحظ إليها العاملون. وهو مشهد العبودية والمحبة، والشوق إلى لقائه والابتهاج به، والفرح والسرور به. فتقرُّ به عينه، ويسكن إليه قلبه. وتطمئن إليه جوارحه ويستولي ذكره على لسان محبه وقلبه. فتصير خطرات المحبة مكان خطرات المعصية. وإرادات التقرب إليه وإلى مرضاته مكان إرادة معاصيه ومساخطه. وحركات اللسان والجوارح بالطاعات مكان حركاتها بالمعاصي. قد امتلأ قلبه من محبته ولهج لسانه بذكره. وانقادت الجوارح لطاعته. فإن هذه الكسرة الخاصة لها تأثير عجيب في المحبة لا يعبر عنه.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رضى الله عنه يقول: من أراد السعادة الأبدية، فليلزم عتبة العبودية.

والقصد: أن هذه الذلة والكسرة الخاصة تدخله على الله وترميه على طريق المحبة. فيفتح له منها باب لا يفتح له من غير هذه الطريق. وإن كانت طرق سائر الأعمال والطاعات تفتح للعبد أبواباً من المحبة. لكن الذي يفتح منها من طريق الذل والإنكسار والإفتقار وازدراء النفس، ورؤيتها بعين الضعف والعجز والعيب والنقص والذم، بحيث يشاهدها ضيعة وعجزاً وتفريطاً وذنباً وخطيئة: نوع آخر وفتح آخر. والسالك بهذه الطريق غريب في الناس وهم في وادٍ وهو في واد. وهي تسمى طريق الطير، يسبق النائم فيها على فراشه السعاة. فيصبح وقد قطع الطريق. وسبق الركب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بينا هو يحدثك. إذ به قد سبق الطرف وفات السعاة. فالله المستعان. وهو خير الغافرين. وهذا الذي حصل له من آثار محبة الله له وفرحه بتوبة عبده. فإنه سبحانه يحب التوابين ويفرح بتوبتهم أعظم فرح وأكمله. فكلما طالع العبد مِنن ربه سبحانه عليه قَبْل الذنب، وفي حال مواقعته وبعده، وبره به وحلمه عنه، وإحسانه إليه: هاجت من قلبه لواعج محبته والشوق إلى لقائه. فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها. وأي إحسان أعظم من إحسان من يبارزه العبد بالمعاصي، وهو يُمدُّه بنعمه ويعامله بألطافه. ويسبل عليه ستره. ويحفظه من خطفات أعدائه المترقبين له أدنى عثرة ينالون منه بها بغيتهم. ويردهم عنه. ويحول بينهم وبينه. وهو في ذلك كله بعينه يراه ويطلع عليه. فالسماء تستأذن ربه أن تحصبه. والأرض تستأذنه أن تخسف به. والبحر يستأذنه أن يُغرقه. كما في مسند الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم: ما من يوم إلا والبحر يستأذن ربه: أن يغرق ابن آدم والملائكة تستأذنه: أن تعاجله وتهلكه. والرب تعالى يقول: دعو عبدي. فأنا أعلم به، إذ أنشأته من الأرض إن كان عبدكم فشأنكم به. وإن كان عبدي فمني وإلي عبدي، وعزتي وجلالي إن أتاني ليلاً قبلته، وإن أتاني نهاراً قبلته. وإن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً. وإن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً. وإن مشى إليَّ هرولت إليه، وإن استغفرني غفرت له وإن استقالني أقلته. وإن تاب إليَّ تبت عليه. من أعظم مني جوداً وكرماً. وأنا الجواد الكريم. عبيدي يبيتون يبارزونني بالعظائم، وأنا أكلؤهم في مضاجعهم وأحرسهم على فرشهم. ومن أقبل إليَّ تلقيته من بعيد ومن ترك لأجلي أعطيته فوق المزيد. ومن تصرف بحولي وقوتي ألَنْت له الحديد. ومن أراد مرادي أردت ما يريد. أهل ذكري أهل مجالستي. وأهل شكري أهل زيادتي. وأهل طاعتي أهل كرامتي.

وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي. إن تابوا إليَّ فأنا حبيبهم. وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم. أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولنقتصر على هذا القدر من ذكر التوبة وأحكامها وثمراتها. فإنه ما أطيل الكلام فيها إلا لفرط الحاجة والضرورة إلى معرفتها، ومعرفة أحكامها وتفاصيلها ومسائلها. والله الموفق لمراعات ذلك. والقيام به عملاً وحالاً. كما وفق له علماً ومعرفة. فما خاب من توكل عليه. ولاذ به ولجأ إليه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

«الإنابة، وعلامتها»

من استقرت قدمه في منزل التوبة. نزل بعده منزل الإنابة: وقد أمر الله تعالى بها في كتابه. وأثنى على خليله بها فقال (وأنيبوا إلى ربكم) وقال (إن إبراهيم لحليم أواه منيب). والإنابة: إنابتان: إنابة لربوبيته. وهي إنابة المخلوقات كلها. يشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر. قال تعالى (وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه) فهنا عام في حق كل داع أصابه ضر. كما هو الواقع. وهذه الإنابة لا تستلزم الإسلام، بل تجامع الشرك والكفر كما قال تعالى في حق هؤلاء (ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون. ليكفروا بما آتيناهم) فهذا حالهم بعد إنابتهم. والإنابة الثانية: إنابة أوليائه وهي إنابة لإلهيته، انابة عبودية ومحبة

وهي تتضمن أربعة أمور: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه. فلا يستحق اسم المنيب. إلا من اجتمعت فيه هذه الأربع. وتفسير السلف لهذه اللفظة يدور على ذلك. وفي اللفظة معنى الإسراع والرجوع والتقدم. والمنيب إلى الله: المسرع إلى مرضاته، الراجع إليه كل وقت، المتقدم إلى محابه. ومن علامة الإنابة: ترك الإستهانة بأهل الغفلة والخوف عليهم، مع فتحك باب الرجاء لنفسك. فترجو لنفسك الرحمة، وتخشى على أهل الغفلة النقمة ولكن أرجُ لهم الرحمة. واخش على نفسك النقمة. فإن كنت لا بد مستهيناً بهم ماقتاً لهم، لانكشاف أحوالهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لك ورؤية ما هم عليه. فكن لنفسك أشد مقتاً منك لهم، وكن أرجى لهم لرحمة الله منك لنفسك.

مفسدات القلب الخمسة

وأما مفسدات القلب الخمسة: فهي: كثرة الخلطة، والتمنى، والتعلق بغير الله، والشبع، والمنام. فهذه الخمسة من أكبر مفسدات القلب. فنذكر آثارها التي اشتركت فيها، وما تميز به كل واحد منها.

إعلم أن القلب يسير إلى الله عز وجل والدار الآخرة، ويكشف عن طريق الحق ونهجه، وآفات النفس والعمل، وقطاع الطريق بنوره وحياته وقوته وصحته وعزمه وسلامة سمعه وبصره، وغيبة الشواغل والقواطع عنه. وهذه الخمسة تطفىء نوره، وتعور عين بصيرته، وتثقل سمعه، إن لم تصمه وتبكمه وتضعف قواه كلَّها، وتوهن صحته وتفتر عزيمته، وتوقف همته، وتنكسه إلى ورائه. ومن لا شعور له بهذا فميت القلب. وما لجرح بميت إيلام. فهي عائقة له عن نيل كماله. قاطعة له عن الوصول إلى ما خلق له وجعل نعيمه وسعادته وابتهاجه ولذته في الوصول إليه. فإنه لا نعيم ولا لذة ولا ابتهاج، ولا كمال، إلَّا بمعرفة الله ومحبته، والطمأنينة بذكره، والفرح والإبتهاج بقربه، والشوق إلى لقائه. فهذه جنته العاجلة. كما أنه لا نعيم له في الآخرة ولا فوز إلا بجواره في دار النعيم في الجنة الآجلة فله جنتان. لا يدخل الثانية منهما إن لم يدخل الأولى. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة. وقال بعض المحبين: مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها، قالوا: وما أطيب ما فيها قال محبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه والإقبال عليه والإعراض عما سواه ـ أو نحو هذا من الكلام.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكل من له قلب حي يشهد هذا ويعرفه ذوقاً وهذه الأشياء الخمسة: قاطعة عن هذا، حائلة بين القلب وبينه عائقة له عن سيره ومحدثة له أمراضاً وعللاً إن لم يتداركها المريض خِيف عليه منها.

فأما ما تؤثره كثرة الخلطة: فامتلاء القلب من دخان أنفاس بني آدم حتى يسودّ، ويوجب له تشتتاً وتفرقاً، وهماً وغماً وضعفاً، وحملاً لما يعجز عن حمله من مؤنة قرناء السوء، وإضاعة مصالحه، والإشتغال عنها بهم وبأمورهم، وتقسُّم فكره في أودية مطالبهم وإرادتهم. فماذا يبقى منه لله والدار الآخرة. هذا وكم جلبت خلطة الناس من نقمة، ودفعت من نعمة، وأنزلت من محنة، وهل آفة الناس إلا النّاس.

وهذه الخلطة التي تكون على نوع مودة في الدنيا، وقضاء وطر بعضهم من بعض ـ تنقلب إذا حقت الحقائق عداوة. قال تعالى: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) وقال عن خليله إبراهيم لقومه (إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين).

والضابط النافع في أمر الخلطة: أن يخالط الناس في الخير كالجمعة والجماعة والأعياد والحج وتعلم العلم والجهاد والنصيحة ويعتزلهم في الشر وفضول المباحات. فإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في الشر ولم يمكنه اعتزالهم: فالحذر الحذر أن يوافقهم. وليصبر على أذاهم، فإنهم لا بد أن يؤذوه إن لم يكن له قوة ولا ناصر. ولكن أذى يعقبه عز ومحبة له وتعظيم، وثناء عليه منهم ومن المؤمنين، ومن رب العالمين. فالصبر على أذاهم خير وأحسن عاقبة، وأحمد مآلاً، وإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في فضول المباحات. فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس طاعة لله، إن أمكنه، ويشجع نفسه ويقوي قلبه، ولا يلتفت إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك، بأن هذا رياء ومحبة لإظهار علمك وحلمك ونحو ذلك، فليحاربه وليستعن بالله، ويؤثر فيهم من الخير ما أمكنه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فإن أعجزته المقادير عن ذلك، فليسُلَّ قلبه من بينهم كسَلِّ الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضراً غائباً، وقريباً بعيداً، نائماً يقظانا. ينظر إليهم ولا يبصرهم، ويسمع كلامهم ولا يعيه لأنه قد أخذ قلبه من بينهم، ورقى به إلى الملأ الأعلى يسبح حول العرش مع الأرواح العلوية الزكية. وما أصعب هذا وأشقه على النفوس، وإنه ليسير على من يسره الله عليه فبين العبد وبينه أن يَصْدُق الله تعالى، ويديم اللجأ إليه ويلقي نفسه على بابه طريحاً ذليلاً، ولا يعين على هذا إلا محبة صادقة، والذكر الدائم بالقلب واللسان، وتجنب المفسدات الأربع الباقية الآتي ذكرها. ولا ينال هذا إلا بعدة صالحة ومادة قوية من الله عز وجل وعزيمة صادقة، وفراغ من التعلق بغير الله تعالى والله تعالى أعلم.

★ ★ ★

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

المفسد الثاني: من مفسدات القلب

ركـوبه بحر التمني: وهو بحر لا ساحل له. وهو البحر الذي يركبه مفاليس العالم، كما قيل: إن المنى رأس أموال المفاليس. وبضاعة ركابه مواعيد الشيطان، وخيالات المحـال والبهتـان. فلا تزال أمـواج الأماني الكاذبة، والخيلات الباطلة، تتلاعب براكبه كما تتلاعب الكلاب بالجيفة، وهي بضـاعـة كل نفس مهينـة خسيسة سفلية. ليست له همة تنال بها الحقـائق الخـارجية. بل اعتـاضت عنها بالأماني الذهنية. وكل بحسب حالـه: من متمن للقـدرة والسلطان وللضرب في الأرض والتـطواف في البلدان، أو للأموال والأثمان، أو للنسوان والمردان. فيُمثل المتمني صورة مطلوبـة في نفسه وقد فاز بوصولها، والتذَّ بالظفر بها. فبينا هو على هذه الحال، إذا استيقظ فإذا يده والحصير وصاحب الهمة العلية أمانيه حائمة حول العلم والإيمان والعمـل الذي يقر به إلى الله، ويدنيه من جواره. فأماني هذا: إيمان ونور وحكمة. وأماني أولئك خدع وغرور. وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم متمني الخير. وربما جعل أجره في بعض الأشياء كأجر فاعله، كالقائل لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان الذي يتقي في ماله ربه. ويصل فيه رحمه. ويخرج منه حقه. وقال «هما في الأجر سواء». وتمنى صلى الله عليه وسلم في حجـة الـوداع: أنه لو كان تمتع وحل ولم يسق الهدي، وكان قد قرن. فأعطاه الله ثواب القران بفعله، وثواب التمتع الذي تمناه بأمنيته. فجمع له بين الأجرين.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل
المفسد الثالث: من مفسدات القلب

التعلق بغير الله تبارك وتعالى. وهذا أعظم مفسداته على الإطلاق. فليس عليه أضر من ذلك. ولا أقطع له عن مصالحه وسعادته منه. فإنه إذا تعلق بغير الله وكله الله إلى ما تعلق به. وخذله من جهة ما تعلق به. وفاته تحصيل مقصوده من الله عز وجل بتعلقه بغيره والتفاته إلى سواه.

فلا على نصيبه من الله حصل ولا إلى ما أمله ممن تعلق به وصل. قال الله تعالى ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا. كلا سيكفرون بعبادتهم ويكـونون عليهم ضدا﴾ وقال تعالى ﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون. لا يستـطيعـون نصرهم وهم لهم جنـد محضرون﴾. فأعظم الناس خذلاناً من تعلق بغير الله فإن ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه، أعـظم مما حصل له ممن تعلق به. وهو معرض للزوال والفوات. ومثل المتعلق بغير الله: كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت. أوهن البيوت. وبالجملة: فأساس الشرك وقاعدته التي بني عليها: التعلق بغير الله. ولصاحبه الذم والخذلان، كما قال تعالى ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً﴾ مذموماً: لا حامد لك. مخذولاً: لا ناصر لك. إذ قد يكـون بعض الناس مقهوراً محموداً. كالذي قُهر بباطل. وقد يكون مذمـومـاً منصـوراً. كالذي قَهَر وتُسُلِّط عليه بباطل. وقد يكون محموداً منصوراً. كالذي تمكن وملك بحق.

والمشرك المتعلق بغير الله، قسمه أردأ الأقسام الأربعة. لا محمود ولا منصور.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

المفسد الرابع من مفسدات القلب

الـطعـام: والمفسـد له من ذلك نوعان: أحدهما ما يفسده لعينه وذاته، كالمحرمات. وهي نوعان: محرمات لحق الله، كالميتة والدم ولحم الخنزير وذي النـاب من السبـاع والمخلب من الـطير. ومحـرمـات لحق العبـاد: كالمسروق والمغصوب والمنهوب، وما أخذ بغير رضى صاحبه إما قهراً وإما حياءً وتذمماً.

والثـاني: ما يفسـده بقـدره وتعدي حده، كالإسراف في الحلال والشبع المفرط، فإنه يثقله عن الطاعات ويشغله بمزاولة مؤنة البطنة ومحاولتها، حتى يظفر بها. فإذا ظفر بها شغله بمزاولة تصرفها ووقاية ضررها، والتأذي بثقلها، وقوى عليه موادّ الشهوة، وطرق مجاري الشيطان ووسعها، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم. فالصوم يضيق مجاريه ويسد عليه طرقه، والشبع يطرقها ويوسعها ومن أكل كثيراً شرب كثيراً، فنام كثيراً، فخسر كثيراً. وفي الحديث المشهور ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن. بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه. فإن كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه، وثلث لنفسه. ويحكى أن ابليس لعنه الله عرض ليحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام فقال له يحيى: هل نلت مني شيئاً قط قال: لا. إلَّا أنه قدم إليك الطعام ليلة فشهَّيته إليك حتى شبعت منه فنمت عن وردك. فقال يحيى: لله عليَّ أن لا أشبع من طعام أبداً. فقال ابليس: وأنا لله عليَّ أن لا أنصح آدمياً أبداً.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

المفسد الخامس: كثرة النوم

فإنه يميت القلب، ويثقل البدن، ويضيع الوقت، ويورث كثرة الغفلة والكسل. ومنه المكروه جداً. ومنه الضار غير النافع للبدن. وأنفع النوم: ما كان عند شدة الحاجة إليه. ونوم أول الليل أحمد وأنفع من آخره. ونوم وسط النهار أنفع من طرفيه. وكلما قرب النوم من الطرفين قلَّ نفعه وكثر ضرره. ولا سيما نوم العصر. والنوم أول النهار إلاَّ لسهران. ومن المكروه عندهم: النوم بين صلاة الصبح وطلوع الشمس. فإنه وقت غنيمة. وللسير ذلك الوقت عند السالكين مزية عظيمة. حتى لو ساروا طول ليلهم لم يسمحوا بالقعود عن السير ذلك الوقت حتى تطلع الشمس. فإنه أول النهار ومفتاحه. ووقت نزول الأرزاق، وحصول القسم، وحلول البركة. ومنه ينشأ النهار. وينسحب حكم جميعه على حكم تلك الحصة. فينبغي أن يكون نومها كنوم المضطر. وبالجملة: فأعدل النوم وأنفعه: نوم نصف الليل الأول، وسدسه الأخير. وهو مقدار ثمان ساعات. وهذا أعدل النوم عند الأطباء. وما زاد عليه أو نقص منه أثر عندهم في الطبيعة انحرافاً بحسبه.

ومن النوم الذي لا ينفع أيضاً: النوم أول الليل، عقيب غروب الشمس حتى تذهب فحمة العشاء. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهه. فهو مكروه شرعاً وطبعاً.

وكما أن كثرة النوم مورثة لهذه الآفات، فمدافعته وهجره مورث لآفات أخرى عظام: من سوء المزاج ويبسه، وانحراف النفس، وجفاف الرطوبات المعينة على الفهم والعمل ويورث أمراضاً متلفة لا ينتفع صاحبها بقلبه ولا بدنه معها وما قام الوجود إلاَّ بالعدل. فمن اعتصم به فقد أخذ بحظه من مجامع الخير. والله المستعان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«الاعتصام»

وهو نوعان: اعتصام بالله، واعتصام بحبل الله. قال الله تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ وقال واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾.

والإعتصام. إفتعال من العصمة. وهو التمسك بما يعصمك، ويمنعك من المحذور والمخوف

فالعصمة: الحمية. والإعتصام: الإحتماء. ومنه سميت القلاع: العواصم، لمنعها وحمايتها.

ومدار السعادة الدنيوية والأخروية: على الإعتصام بالله والإعتصام بحبله، ولا نجاة إلا لمن تمسك بهاتين العصمتين. فأما الإعتصام بحبله: فإنه يعصم من الضلالة. والإعتصام به: يعصم من الهلكة. فالإعتصام بحبل الله: يوجب له الهداية واتباع الدليل. والإعتصام بالله، يوجب له القوة والعدة والسلاح، والمادة التي يستلئم بها في طريقه. ولهذا اختلفت عبارات السلف في الإعتصام بحبل الله بعد إشارتهم كلهم إلى هذا المعنى. فقال ابن عباس: تمسكوا بدين الله. وقال ابن مسعود: هو الجماعة. وقال مجاهد وعطاء: بعهد الله. وقال قتادة والسدي وكثير من أهل التفسير هو القرآن. وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن. هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تختلف به الألسن، ولا يَخْلق على كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء. وقال مقاتل بأمر الله وطاعته ولا تفرقوا كما تفرقت اليهود والنصارى[1].

---

(١) وقال شيخ الاسلام في كتاب الايمان لما ذكر هذه الأقوال: وكل هذا حق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«تمثيل القلب في سيره الى الله بالطائر»

القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر. فالمحبة رأسه. والخوف والرجاء جناحاه. فمتى سلم الرأس والجناحان. فالطائر جيد الطيران. ومتى قطع الرأس مات الطائر. ومتى فُقِد الجناحان. فهو عرضة لكل صائد وكاسر. ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف. هذه طريقة أبي سليمان وغيره. وقال غيره: أكمل الأحوال: اعتدال الرجاء والخوف، وغلبة الحب. فالمحبة. هي المركب والرجاء حاد. والخوف سائق. والله الموصل بمنه وكرمه.

«الخشوع في الصلاة»

فإن قيل: ما تقولون في صلاة من عدم الخشوع: هل يعتد بها أم لا؟ قيل: أما الإعتداد بها في الثواب فلا يعتد له فيها. إلَّا بما عقل فيه منها. وخشع فيه لربِّه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها. وفي المسند مرفوعاً: إن العبد ليصلي الصلاة ولم يكتب له إلا نصفها أو ثلثها أو ربعها ـ حتى بلغ عشرها. وقد علق الله فلاح المصلين بالخشوع في صلاتهم. فدل على أن من لم يخشع فليس من أهل الفلاح ولو اعتد له بها ثواباً لكان من المفلحين.

وأما الإعتداد بها في أحكام الدنيا وسقوط القضاء: فإن غلب عليها الخشوع وتعقّلها اعتد بها إجماعاً. وكانت السنن والأذكار عقيبها جوابر ومكملات لنقصها.

وإن غلب عليه عدم الخشوع فيها وعدم تعقلها، فقد اختلف الفقهاء في وجوب إعادتها. فأوجبها أبو عبدالله بن حامد من أصحاب أحمد وأبو حامد الغزالي في إحيائه، لا في وسيطه وبسيطه. واحتجوا بأنها صلاة لا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يثاب عليها ولم يضمن له فيها الفلاح، فلم تبرأ ذمته منها، ويسقط القضاء عنه كصلاة المرائي. قالوا: ولأن الخشوع والعقل روح الصلاة ومقصودها ولُبُّها، فكيف يعتد بصلاة فقدت روحها ولبها، وبقيت صورتها وظاهرها. قالوا: ولو ترك العبد واجباً من واجباتها عمداً لأبطلها تركه. وغايته: أن يكون بعضا من أبعاضها بمنزلة فوات عضو من أعضاء العبد المعتق في الكفارة، فكيف إذا عدمت روحها، ولبها ومقصودها، وصارت بمنزلة العبد الميت. إذا لم يعتد بالعبد المقطوع اليد. يعتقه تقرباً إلى الله تعالى في كفارة واجبة فكيف يعتد بالعبد الميت. وقال بعض السلف: الصلاة كجارية تهدى إلى ملك من الملوك. فما الظن بمن يهدي إليه جارية شلاَّء، أو عوراء، أو عمياء، أو مقطوعة اليد والرجل، أو مريضة، أو دميمة، أو قبيحة، حتى يهدي إليه جارية ميتة بلا روح وجارية قبيحة. فكيف بالصلاة التي يهديها العبد ويتقرب بها إلى ربه تعالى. والله طيب لا يقبل إلا طيباً وليس من العمل الطيب: صلاة لا روح فيها. كما أنه ليس من العتق الطيب عتق عبد لا روح فيه.

قالوا: وتعطيل القلب عن عبودية الحضور والخشوع: تعطيل لملك الأعضاء عن عبوديته، وعزل له عنها فماذا تغني طاعة الرعية وعبوديتها وقد عزل ملكها وتعطل.

قالوا: والأعضاء تابعة للقلب، تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده. فإذا لم يكن قائماً بعبوديته، فالأعضاء أولى أن لا يُعتدَّ بعبوديتها، وإذا فسدت عبوديته ـ بالغفلة والوسواس ـ فأنى تصح عبودية رعيته وجنده ومادتهم منه، وعن أمره يصدرون، وبه يأتمرون.

قالوا: وفي الترمذي وغيره، مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم إن الله لا يستجيب الدعاء من قلب غافل. وهذا إما خاص بدعاء العبادة، وإما عام له ولدعاء المسألة، وإما خاص بدعاء المسألة الذي هو أبعد. فهو تنبيه على أنه لا يقبل دعاء العبادة الذي هو خاص حقه من قلب غافل.

قالوا: ولأن عبودية من غلبت عليه الغفلة والسهو في الغالب لا تكون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مصاحبة للإخلاص. فإن الإخلاص قصد المعبود وحده بالتعبد. والغافل لا قصد له. فلا عبودية له. قالوا: وقد قال الله تعالى ﴿فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ وليس السهو عنها تركها، وإلَّا لم يكونوا مصلين، وإنما هو السهو عن واجبها: إما عن الوقت، كما قال ابن مسعود وغيره وإما عن الحضور والخشوع، والصواب: أنه يعم النوعين فإنه سبحانه أثبت لهم صلاة. ووصفهم بالسهو عنها فهو السهو عن وقتها الواجب، أو عن إخلاصها وحضورها الواجب. ولذلك وصفهم بالرياء. ولو كان السهو سهو ترك لما كان هناك رياء. قالوا: ولو قدرنا أنه السهو عن واجب فقط، فهو تنبيه على التوعد بالويل على سهو الإخلاص والحضور بطريق الأولى لوجوه: أحدها: أن الوقت يسقط في حال العذر، وينتقل إلى بدله. والإخلاص والحضور لا يسقط بحال ولا بدل له. الثاني: أن واجب الوقت يسقط لتكميل مصلحة الحضور. فيجوز الجمع بين الصلاتين للشغل المانع من فعل إحداهما في وقتها بلا قلب، ولا حضور. كالمسافر، والمريض، وذي الشغل الذي يحتاج معه إلى الجمع، كما نص عليه أحمد وغيره.

فبالجملة: مصلحة الإخلاص والحضور وجمعية القلب على الله في الصلاة. أرجح في نظر الشارع من مصلحة سائر واجباتها فكيف يظن به أنه يبطلها بترك تكبيرة واحدة، أو اعتدال في ركن، أو ترك حرف، أو شدة من القرآن، أو ترك تسبيحة، أو قول. سمع الله لمن حمده. أو قول ربنا ولك الحمد. أو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه ثم يصححها مع فوت لبها ومقصودها الأعظم وروحها وسرها. فهذا ما احتجت به هذه الطائفة: وهي حجج ـ كما تراها ـ قوة وظهورا.

قال أصحاب القول الآخر: قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال: إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان، وله ضراط حتى لا يسمع التأذين. فإذا قضي التأذين أقبل فإذا ثُوِّب بالصلاة أدبر. فإذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء وبين نفسه، فيذكره مالم يكن يذكر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويقول: أذكر كذا أذكر كذا لما لم يكن يذكر. حتى يظل الرجل لا يدري كم صلَّى. فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس.

قالوا: فأمره النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الصلاة التي قد أغفله الشيطان فيها، حتى لم يدر كم صلى: بأن يسجد سجدتي السهو ولم يأمره بإعادتها، ولو كانت باطلة كما ـ زعمتم ـ لأمره بإعادتها. قالوا: وهذا هو السر في سجدتي السهو، ترغيماً للشيطان في وسوسته للعبد، وكونه حال بينه وبين الحضور في الصلاة. ولهذا سماها النبي صلى الله عليه وسلم. المرغمتين. وأمر من سها بهما، ولم يُفصِّل في سهوه الذي صدر عنه موجب السجود بين القليل والكثير والغالب والمغلوب. وقال: لكل سهو سجدتان. ولم يستثن من ذلك السهو الغالب، مع أنه الغالب.

قالوا: ولأن شرائع الإسلام على الأفعال الظاهرة. وأما حقائق الإيمان الباطنة: فتلك عليها شرائع الثواب والعقاب. فلله تعالى حكمان: حكم في الدنيا على الشرائع الظاهرة وأعمال الجوارح. وحكم في الآخرة على الظواهر والبواطن. ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل علانية المنافقين ويكل أسرارهم إلى الله فيُناكحون، ويرثون ويورثون ويعتد بصلاتهم في أحكام الدنيا. فلا يكون حكمهم حكم تارك الصلاة إذ قد أتوا بصورتها الظاهرة، وأحكام الثواب والعقاب ليست إلى البشر. بل إلى الله. والله يتولاه في الدار الآخرة.

قالوا: فنحن في حكم شرائع الإسلام نحكم بصحة صلاة المنافق والمرائي، مع أنه لا يسقط عنه العقاب، ولا يحصل له الثواب في الآخرة. فصلاة المسلم الغافل المبتلى بالوسواس وغفلة القلب عن كمال حضوره. أولى بالصحة.

نعم: لا يحصل مقصود هذه الصلاة من ثواب الله عاجلاً ولا آجلاً. فإن للصلاة مزيد ثواب عاجل في القلب من قوة إيمانه، واستنارته، وانشراحه وانفساحه ووجود حلاوة العبادة، والفرح والسرور، واللذة التي تحصل لمن اجتمع همه وقلبه على الله، وحضور قلبه بين يديه، كما يحصل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لمن قرَّ به السلطان منه، وخصه بمناجاته والإقبال عليه. والله أعلى وأجل.

وكذلك ما يحصل لهذا من الدرجات العلى في الآخرة، ومرافقة المقربين. كل هذا يفوت بفوات الحضور والخضوع وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحداً. وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض. وليس كلامنا في هذا كله.

فإذا أردتم وجوب الإعادة: لتحصل هذه الثمرات والفوائد فذاك إليه إن شاء أن يحصلها وإن شاء أن يفوتها على نفسه وإن أردتم بوجوبها أنا نلزمه بها ونعاقبه على تركها. وترتب عليه أحكام تارك الصلاة فلا. وهذا القول الثاني أرجح القولين. والله أعلم.

وبهذا تم الجزء الأول من مدارج السالكين. وبه تم ما أردت جمعه واختياره بقلم جامعه الفقير إلى الله عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن محمد بن سحمان. في بلد ليلى من الأفلاج ولله الحمد والمنة على حسن توفيقه وإعانته. وذلك في ضحى يوم الجمعة الموافق الثامن عشر من شهر شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين.

١٨/١٠/١٣٨٤هـ

★ ★ ★

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سبيل النجاة، في باب الأسماء والصفات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد فهذا ملخص مفيد جداً يتضمن إيضاح ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان، وهم أهل السنة والجماعة، من الإعتقاد في باب الأسماء والصفات لرب العالمين، لخصته من كلام شيخ الإسلام، وعلم الهداة الأعلام، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، وتلميذه شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، رفع الله منزلتهما في الجنة العلية.

ليسهل حفظه لكل مريد معرفة ذلك، بأسهل طريق، وأوضح دليل. والله أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وسبباً لإلحاقي بعباده الصالحين فإنه حسبنا ونعم الوكيل.

ملخِّصه

عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن محمد بن سحمان

القاضي بمحكمة التمييز بالرياض

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أهدى سبيل وأقوم طريق في باب الأسماء والصفات

لاشك أن أهدى سبيل وأقوم طريق في باب الأسماء والصفات، هو ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان وهم أهل السنة والجماعة، لأن الله جلت حكمته قد شهد لأصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان بالإيمان، حيث قال الله تعالى ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾.

فعُلم قطعاً أن سبيلهم هو أهدى سبيل وأقوم طريق، وأن السالك غير سبيلهم هو المتوعد بقوله تعالى ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾[1].

فمن سبيلهم في الإعتقاد الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه وسمى بها نفسه في كتابه وتنزيله، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير زيادة عليها ولا نقص منها، ولا تجاوز لها، ولا تفسير لها، ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين، ولا سمات المحدثين، بل أمروها كما جاءت وردوا علمها إلى قائلها، ومعناها إلى المتكلم بها.

وقال بعضهم. ويروى عن الشافعي: آمنت بما جاء عن الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله.

---

(١) من أول العنوان إلى هذه الإشارة، حصل مني فيه التصرف والزيادة للإيضاح، وما بعدها كله نص كلام شيخ الإسلام.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعلموا أن المتكلم بها صادق لاشك في صدقه وصدقوه، ولم يعلموا حقيقة معناها فسكتوا عما لم يعلموه، وأخذ ذلك الآخر عن الأول، ووصى بعضهم بعضاً بحسن الإتباع، والوقوف حيث وقف أولهم، وحذروا من التجاوز لهم، والعدول عن طريقتهم وبينوا لنا سبيلهم ومذهبهم، ونرجوا أن يجعلنا الله ممن اقتدى بهم في بيان ما بينوه، وسلوك الطريق الذي سلكوه والدليل على أن مذهبهم ما ذكرناه، أنهم نقلوا إلينا القرآن العظيم، وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل مصدق لها، مؤمن بها، قابل لها، غير مرتاب فيها، ولا شاك في صدق قائلها، ولم يفسروا ما يتعلق بالصفات منها، ولا تأولوه ولا شبهوه بصفات المخلوقين، إذ لو فعلوا شيئاً من ذلك لنقل عنهم، ولم يجز أن يكتم بالكلية، إذ لا يجوز التواطؤ على كتمان ما يحتاج إلى نقله ومعرفته، لجريان ذلك في القبح مجرى التواطيء على نقل الكذب وفعل ما لا يحل، بل بلغ من مبالغتهم في السكوت عن هذا أنهم إذا رأوا من يسأل عن المتشابه بالغوا في كفه تارة بالقول العنيف، وتارة بالضرب، وتارة بالإعراض الدال على شدة الكراهة لمسألته. ولما سئل مالك بن أنس رحمه الله فقيل له يا أبا عبدالله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى، فأطرق مالك وعلاه الرحضاء يعني العرق، وانتظر القوم ما يجيء منه فيه، فرفع رأسه إلى السائل، وقال: الإستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة وأحسبك رجل سوء، وأمر به فأخرج. وهذا الجواب من مالك رحمه الله في الإستواء شاف كاف في جميع الصفات مثل النزول والمجيء واليد والوجه وغيرها. فيقال في مثل النزول: النزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وهكذا يقال في سائر الصفات إذ هي بمثابة الإستواء الوارد في الكتاب والسنة.

وثبت عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة. أنه قال: إتفق الفقهاء كلهم من الشرق والغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل، من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة انتهى. فانظر رحمك الله إلى هذا الإمام كيف حكى الإجماع في هذه المسألة، ولا خير فيما خرج عن إجماعهم ولو لزم التجسيم من السكوت عن تأويلها، لفروا منه وأولوا ذلك، فإنهم أعرف الأمة بما يجوز على الله وما يمتنع عليه.

فمذهب السلف رضوان الله عليهم: إثبات الصفات وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية عنها، لأن الكلام في الصفات، فرع عن الكلام في الذات، وإثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات. وعلى هذا مضى السلف كلهم. وقد ثبت ما ادعيناه من مذهب السلف بما نقلناه عنهم جملة وتفصيلاً، واعتراف العلماء من أهل النقل كلهم بذلك. ولم أعلم عن أحد منهم خلافاً في هذه المسألة. انتهى ما لخصته من كلام شيخ الإسلام رحمه الله من أول كتاب نقض المنطق. والله أعلم.

العروة الوثقى

في معرفة ما تمتاز به الأسماء الحسنى والصفات العلى[1]

أسماء الله الحسنى: هي أعلام وأوصاف، والوصف بها لا ينافي العلمية، بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم، لأن أوصافهم مشتركة فنافتها العلمية المختصة، بخلاف أوصافه تعالى.

---

(١) هذا العنوان وما بعده من العناوين من عملي، عونا على فهم المراد وتسهيلا للحفظ وما عدا ذلك كله نص كلام ابن القيم.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والإسم من أسمائه تعالى، له دلالات، دلالة على الذات والصفة بالمطابقة، ودلالة على أحدهما بالتضمن ودلالة على الصفة الأخرى باللزوم(١).

وما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الإخبار لا يجب أن يكون توقيفياً، كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه، فإنه يخبر به عنه، ولا يُدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

ولا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيدا أن يشتق له منه اسم مطلق، كما غلط بعض المتأخرين، فجعل من اسمائه الحسنى، المضل الفاتن الماكر، تعالى الله عن قوله، فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها الا أفعال مخصوصة معينة، فلا يجوز أن يسمى باسمائها المطلقة. والله أعلم.

اطلاق الإسم والصفة على الله

الإسم: اذا أطلق عليه، جاز أن يشتق منه المصدر والفعل، فيخبر به عنه فعلا ومصدرا، نحو السميع البصير القدير، ويطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة، ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو ﴿قد سمع الله﴾ ﴿وقدرنا فنعم القادرون﴾. هذا اذا كان الفعل متعديا، فإن كان لازما لم يخبر عنه به نحو الحي، بل يطلق عليه الإسم والمصدر، دون الفعل، فلا يقال حيي.

والصفة: إذا كانت منقسمة الى كمال ونقص، لم تدخل بمطلقها في أسمائه، بل يطلق عليه منها كمالها. وهذا كالمريد والفاعل والصانع، فإن

---

(١) مثل لفظة الرحمن. دلت على الصفة المشتقة منها وهي الرحمة. وعلى ذات الرب سبحانه بالمطابقة، ودلت على احدهما بالتضمن. ودلت على الصفة التي لم تشتق منها باللزوم كالحياة والعلم إنتهى ملخصه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذه الألفاظ لا تدخل في اسمائه، ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الإطلاق، بل هو الفعال لما يريد، فإن الإرادة والفعل والصنع منقسمة، ولهذا انما اطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلا وخبرا.

التحقيق في الأسماء التي تطلق على الله وعلى العباد

اختلف النظار في الأسماء التي تطلق على الله وعلى العباد، كالحي والسميع والبصير والعليم والقدير والملك، ونحوها.

هل هي حقيقة فيهما، أو حقيقة في أحدهما، مجاز في الآخر والصواب: انها حقيقة فيهما، وهذا قول أهل السنة واختلاف الحقيقتين فيهما، لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما.

وللرب تعالى منها ما يليق بجلاله، وللعبد منها ما يليق به.

والاسم والصفة من هذا النوع له ثلاث اعتبارات، اعتبار من حيث هو مع قطع النظر عن تقييده بالرب تبارك وتعالى أو للعبد.

الثاني: اعتباره مضافا الى الرب مختصا به.

الثالث: اعتباره مضافا الى العبد مقيدا به.

فما لزم الإسم لذاته وحقيقته كان ثابتا للرب والعبد.

وللرب منه ما يليق بكماله، وللعبد منه ما يليق به.

وهذا كاسم السميع الذي يلزمه ادراك المسموعات، والبصير الذي يلزمه رؤية المبصرات، والعليم والقدير وسائر الأسماء، فإن شرط صحة اطلاقها حصول معانيها وحقائقها للموصوف بها، فما لزم هذه الأسماء لذاتها، فاثباته للرب تعالى لا محذور فيه بوجه، بل ثبتت له على وجه لا يماثله فيه خلقه ولا يشابههم، فمن نفاه عنه لإطلاقه على المخلوق ألحد في اسمائه، وجحد صفات كماله. ومن اثبته له على وجه يماثل فيه خلقه، فقد شبه الله بخلقه، ومن شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن اثبته له على وجه لا يماثل فيه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خلقه، بل كما يليق بجلاله وعظمته، فقد بريء من فرث التشبيه ودم التعطيل. وهذا طريق أهل السنة. وما لزم الصفة لإضافتها الى العبد، وجب نفيه عن الله، كما يلزم حياة العبد من النوم والسنة والحاجة الى الغذاء ونحو ذلك، وكذلك ما يلزم ارادته من حركة نفسه في جلب ما ينتفع به ودفع ما يتضرر به، وكذلك ما يلزم علوه من احتياجه الى ما هو عال عليه، وكونه محمولا به مفتقرا اليه محاطا به، كل هذا يجب نفيه عن القدوس السلام تبارك وتعالى.

وما لزم صفة من جهة اختصاصه تعالى بها، فإنه لا يثبت للمخلوق بوجه، كعلمه الذي يلزمه القدم والوجوب والإحاطة بكل معلوم، وقدرته وارادته وسائر صفاته، فإن ما يختص به منها لا يمكن اثباته للمخلوق.

فإذا أحطت بهذه القاعدة خبرا، وعقلتها كما ينبغي، خلصت من الآفتين اللتين هما أصل بلاء المتكلمين، آفة التعطيل وآفة التشبيه، فإذا وفيت هذا المقام حقه من التصور، أثبت لله الأسماء الحسنى والصفات العلى حقيقة، فخلصت من التعطيل، ونفيت عنها خصائص المخلوقين ومشابهتهم، فخلصت من التشبيه.

فتدبر هذا الموضع، واجعله جنتك التي ترجع اليها في هذا الباب، والله الموفق للصواب.

الخاتمة

وهي الجامعة لما تقدم، وهو معرفة الإلحاد في اسمائه، حتى لا يقع فيه. قال تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾. والإلحاد في اسمائه: هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، وهو مأخوذ من الميل، كما يدل عليه مادته ل ح د فمنه اللحد وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه الملحد في الدين، المائل عن الحق الى الباطل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إذا عرف هذا، فالإلحاد في أسمائه تعالى أنواع.

أحدها: أن يسمى الأصنام بها، كتسميتهم اللات من الإلٰه، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلٰهًا وهذا إلحاد حقيقة، فانهم عدلوا بأسمائه الى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أباً، وتسميه الفلاسفة له موجباً بذاته، أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول أخبث اليهود إنه فقير، وقولهم إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم يد الله مغلولة، وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد ويقولون لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به. وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعاً ولغةً وفطرةً، وكل من جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فقد ألحد في ذلك، فليستقل أو ليستكثر.

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه، تعالى الله عما يقول المشبهون علواً كبيرا. فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه، وبرأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظا ولا معنى، بل أثبتوا له الأسماء والصفات، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم برئياً من التشبيه، وتنزيههم خلياً من التعطيل، لا كمن شبه حتى كأنه يعبد صنماً، أو عطل حتى كأنه لا يعبد إلا عدماً.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأهل السنة وسط في النحل، كما أن أهل الإسلام وسط في الملل توقد مصابيح معارفهم من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء. فنسأل الله تعالى أن يهدينا لنوره، ويسهل لنا السبيل إلى الوصول إلى مرضاته ومتابعة رسوله إنه قريب مجيب. انتهى ما لخصته من كلام شمس الدين المعروف بابن قيم الجوزية، وبه انتهى ما أردت تلخيصه فيما أسميته سبيل النجاة، في باب الأسماء والصفات. والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن محمد بن سحمان

١٤٠٥/٥/٢٢هـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فوائد مهمات في باب الأسماء والصفات [1]

تأويل الصفات

هو الحقيقة التي انفرد الله بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره: الإستواء معلوم، والكيف مجهول. فالإستواء معلوم، يعلم معناه، ويفسر ويترجم بلغة أخرى، وهو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم. وأما كيفية ذلك الإستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله ا هـ من المجلد الخامس ص ٣٦ من مجموع فتاوى شيخ الإسلام.

إمرار نصوص الصفات كما جاءت بلا كيف

وقول السلف: أمروها كما جاءت. يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظ دالة على معاني، فلو كانت دلالتها منتفية، لكان الواجب أن يقال: أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذٍ فلا تكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذٍ بلا كيف، إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول اهـ ج ٥ ص ٤٢/٤١ من مجموع الفتاوى.

نزول الرب جل جلاله كل ليلة إلى السماء الدنيا.

الصواب: قول السلف، أنه ينزل ولا يخلو منه العرش. وروح العبد في بدنه لا تزال ليلاً ونهاراً إلى أن يموت، ووقت النوم تعرج وقد تسجد تحت العرش، وهي لم تفارق جسده وكذلك: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وروحه في بدنه، وأحكام الأرواح مخالف لأحكام الأبدان فكيف بالملائكة، فكيف برب العالمين ا هـ ج ٥ من مجموع الفتاوي ص ٢٤٣.

---

(١) كالشرح لما تقدم في الملخص

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أسماء الله وصفاته حقيقة

ومن أنكر أن يكون شيء من هذه الأسماء والصفات حقيقة، إنما أنكره لجهله مسمى الحقيقة، أو لكفره وتعطيله لما يستحقه رب العالمين، وذلك أنه قد يظن أن إطلاق ذلك يقتضي أن يكون المخلوق مماثلاً للخالق، فيقال له: هذا باطل فإن الله موجود حقيقة، والعبد موجود حقيقة وليس هذا مثل هذا. والله تعالى له ذات حقيقة، والعبد له ذات حقيقة، وليس ذات الله كذوات المخلوقات وكذلك له علم وسمع وبصر حقيقة، وللعبد علم وسمع وبصر حقيقة، وليس علمه وسمعه وبصره مثل علم الله وسمعه وبصره، ولله كلام حقيقة، وللعبد كلام حقيقة، وليس كلام الخالق مثل كلام المخلوقين ا هـ من المجلد الخامس لمجموع فتاوى شيخ الإسلام ص ١٩٩.

الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في أثناء كلامه:

وجماع الأمر في ذلك. أن الكتاب والسنة يحصل منهما، كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحق، وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته، ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً البتة. مثل أن يقول القائل ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم) وقوله صلى الله عليه وسلم. إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قِبل وجهه ونحو ذلك فان هذا غلط وذلك أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة كما جمع بينهما في قوله سبحانه وتعالى ﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأوعال والله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه انتهى ما نقلت ص ١٠٢ من مجموع الفتاوى ج ٥.

نزول الله وقربه وجلاله، ومحاسبته لخلقه في ساعة واحدة

ثبت في الصحيحين أنه ينزل، وفي لفظ: ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر. وفي حديث آخر. أقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل الآخر. وفي صحيح مسلم إن الله ينزل إلى سماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل. وفي صحيح مسلم أيضاً. إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله إلى سماء الدنيا. فما ذكر من تقدم اختلاف الليل في البلاد يبطل قول من يظن أنه يخلو منه العرش، ويصير تحت العرش أو تحت السماء.

وأما النزول: الذي لا يكون من جنس نزول أجسام العباد. فهذا لا يمتنع أن يكون في وقت واحد لخلق كثير، ويكون قدره لبعض الناس أكثر، بل لا يمتنع أن يقرب إلى خلق من عباده دون بعض، فيقرب إلى هذا الذي دعاه، دون هذا الذي لم يدعه.

وجميع ما وصف به الرب عز وجل نفسه من القرب فليس فيه ما هو عام لجميع المخلوقات كما في المعية.

فإن المعية وصف نفسه فيها بعموم وخصوص.

وأما قربه مما يقرب منه فهو خاص لمن يقرب منه. كالداعي والعابد، وكقربه عشية عرفة، ودنوه إلى السماء الدنيا لأجل الحجاج، وإن كانت تلك العشية بعرفة قد تكون وسط النهار في بعض البلاد، وتكون ليلاً في بعض البلاد، فإن تلك البلاد لم يدن إليها، ولا إلى سمائها الدنيا، وإنما دنا إلى السماء الدنيا التي على الحجاج، وكذلك نزوله بالليل. وهذا كما أن حسابه لعباده يوم القيامة، يحاسبهم كلهم في ساعة واحدة. وكل منهم يخلو به كما يخلو الرجل بالقمر ليلة البدر فيقرره بذنوبه، وذلك المحاسب لا يرى أنه يحاسب غيره. كذلك قال أبو رزين للنبي صلى الله عليه وسلم لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، قال يا رسول الله، كيف ونحن جمع وهو واحد.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فقال سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله: هذا القمر كلكم يراه مخلياً به. فالله أكبر. وقال رجل لابن عباس رضى الله عنه: كيف يحاسب الله العباد في ساعة واحدة، قال كما يرزقهم في ساعة واحدة وكذلك ما ثبت في صحيح مسلم. عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل. فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين. قال الله: حمدني عبدي. فإذا قال العبد: الرحمن الرحيم قال الله: أثنى علي عبدي فإذا قال العبد مالك يوم الدين: قال الله مجدني عبدي. فإذا قال العبد إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل. فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين: قال هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل. فهذا يقوله الله سبحانه وتعالى لكل مصل قرأ الفاتحة، فلو صلى الرجل ما صلى من الركعات قيل له ذلك وفي تلك الساعة يصلي من يقرأ الفاتحة من لا يحصي عدده إلا الله وكل واحد منهم يقول الله له كما يقول لهذا، كما يحاسبهم كذلك، فيقول لكل واحد ما يقول له من القول في ساعة واحدة. وكذلك سمعه لكلامهم يسمع كلامهم كلهم مع اختلاف لغاتهم وتفنن حاجاتهم: يسمع دعاءهم سمع إجابة، ويسمع كل ما يقولونه سمع علم وإحاطة، لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بإلحاح الملحين، فإنه سبحانه هو الذي خلق هذا كله وهو الذي يرزق هذا كله، وهو الذي يوصل الغذاء إلى كل جزء جزء من البدن على مقداره وصفته المناسبة له، وكذلك من الزرع. وكرسيه قد وسع السموات والأرض، ولا يؤوده حفظهما، فإذا كان لا يؤوده خلقه ورزقه على هذه التفاصيل، فكيف يؤوده العلم بذلك، أو سمع كلامهم، أو رؤية أفعالهم، أو إجابة دعائهم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيرا.

وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون). وهذه الآية مما تبين خطأ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هؤلاء فإنه سبحانه وتعالى قال ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾. وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه، ويقول أنا الملك أنا الملك أين ملوك الأرض وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه أبلغ من ذلك. والسياق لمسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال. يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يطوي الأرضين بشماله. ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون. رواه عن أبي بكربن أبي شيبة. ورواه عثمان بن أبي شيبة قال يطوي الله السموات يوم القيامة. ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون، ثم يطوي الأرضين ثم يأخذهن بشماله فيقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون.

وفي حديث عبدالله بن مقسم عن عبدالله بن عمر قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وهو يقول: يأخذ الجبار سمواته وأرضه وقبض بيده وجعل يقبضها ويبسطها ويقول أنا الرحمن أنا الملك أنا القدوس أنا السلام أنا المؤمن أنا المهيمن أنا العزيز أنا الجبار أنا المتكبر أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئاً، أنا الذي أعيدها، أين الجبارون أين المتكبرون، ويتميل رسول الله على يمينه وعلى شماله حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني أقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم. رواه ابن منده وابن خزيمة، وعثمان بن سعيد الدارمي، وسعيد بن منصور وغيرهم من الأئمة الحفاظ النقاد الجهابذة.

فإذا كان سبحانه يطوي السموات كلها بيمينه. وهذا قدرها عنده ـ كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم.

وهو سبحانه بين لنا من عظمته بقدر ما نعقله. كما قال عبدالعزيز الماجشون: والله ما دلهم على عظيم ما وصف من نفسه وما تحيط به قبضته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلا صغر نظيرها منهم عنده ـ إن ذلك الذي ألقى في روعهم وخلق على معرفته قلوبهم.

وقد قال تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) قال ابن أبي حاتم في تفسيره. حدثنا أبو زرعة، حدثنا منجاب بن الحارث، حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله سبحانه وتعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار). قال لو أن الجن والإنس والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا صفوا صفاً واحداً ما أحاطوا بالله تعالى أبداً ـ فمن هذه عظمته كيف يحصره مخلوق من المخلوقات. سماء أو غير سماء حتى يقال: إنه إذا نزل إلى السماء الدنيا صار العرش فوقه أو يصير شيء من الخلوقات يحصره ويحيط به سبحانه وتعالى فإذا قال القائل: هو قادر على ما يشاء: قيل فقل: هو قادر على أن ينزل سبحانه وتعالى وهو فوق عرشه، وإذا استدللت بمطلق القدرة والعظمة: من غير تمييز فما كان ابلغ في القدرة والعظمة: فهو أولى بأن يوصف به مما ليس كذلك. فإن من توهم العظيم الذي لا أعظم منه، يقدر على أن يصغر حتى يحيط به مخلوقه الصغير، وجعل هذا من باب القدرة والعظمة: فقوله: إنه ينزل مع بقاء عظمته وعلوه على العرش: أبلغ في القدرة والعظمة، وهو الذي فيه موافقة الشرع والعقل. انتهى ما أردت نقله من المجلد الخامس من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ص ٤٧٨/ ٤٨٣.

وبه انتهى ما أردت نقله من الفوائد من كلام شيخ الإسلام كالتكملة والشرح لما لخصته من كلامه في سبيل النجاة.

وإليك فوائد من كلام شمس الدين ابن قيم الجوزية لتكون كالتكملة والشرح لما لخصته من كلامه في سبيل النجاة.

ما يجري صفة أو خبرا على الرب تعالى

ما يجري صفة أو خبراً على الرب تبارك وتعالى أقسام أحدها: ما يرجع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلى نفس الذات كقولك ذات وموجود وشيء. الثاني: ما يرجع إلى صفات معنوية كالعليم والقدير والسميع. الثالث: ما يرجع إلى أفعاله نحو الخالق والرازق. الرابع: ما يرجع إلى التنزيه المحض ولا بد من تضمنه ثبوتاً إذ لاكمال في العدم المحض كالقدوس السلام. الخامس: ولم يذكره أكثر الناس وهو الإسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة بل هو دال على معناه لا على معنى مفرد نحو المجيد العظيم الصمد، فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال ولفظه يدل على هذا فإنه موضوع للسعة والكثرة والزيادة فمنه استمجد المرخ والغفار وأمجد الناقة علفاً ومنه رب العرش المجيد صفة للعرش لسعته وعظمه وشرفه فالعظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال.

وكذلك الصمد قال ابن عباس: هو السيد الذي كمل في سؤدده. وقال ابن وائل: هو السيد الذي انتهى سؤدده. وقال عكرمة: الذي ليس فوقه أحد. وكذلك قال الزجاج: الذي ينتهي إليه السؤدد فقد صمد له كل شيء. وقال ابن الأنباري: لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد السيد الذي ليس فوقه أحد الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وأمورهم. السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الإسمين والوصفين بالآخر. وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو الغني الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن فإن الغنى صفة كمال والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر، فله ثناء من غناه، وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما وكذلك العفو القدير والحميد المجيد والعزيز الحكيم فتأمله فإنه من أشرف المعارف.

متى تدخل صفات السلب المحض في صفات الله

صفات السلب المحض لا تدخل في أوصافه تعالى إلا أن تكون متضمنة لثبوت، كالأحد المتضمن لانفراده بالربوبية والالهية والسلام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المتضمن لبراءته من كل نقص يضاد كماله، وكذلك الإخبار عنه بالسلوب هو لتضمنها ثبوتا كقوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) فإنه متضمن لكمال حياتـه وقيوميته وكذلك قوله تعالى (وما مسنا من لغوب) متضمن لكمال قدرته وكذلك قوله (ولا يعزب عن ربك من مثقال ذرة) متضمن لكمال علمه وكذلك قوله (لم يلد ولم يولد) متضمن لكمال صمديته وغناه، وكذلك قولـه (ولم يكن له كفـواً أحـد) متضمن لتفرده بكماله، وأنه لا نظير له. وكذلك قوله تعالى (لا تدركه الأبصار) متضمن لعظمته وأنه جل عن أن يدرك بحيث يحاط به. وهذا مطرد في كل ما وصف به نفسه من السلوب.

من المهمات في باب الأسماء والصفات

أحدها: أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسـمائـه وصفاته، كالشيء والموجود والقائم بنفسه. فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

الثاني: أن أسماءه الحسنى لها اعتباران اعتبار من حيث الذات، واعتبار من حيث الصفات، فهي بالاعتبار الأول مترادفة، وبالاعتبار الثاني متباينة.

الثـالث: أن أسماءه كلها حسنى ليس فيها اسم غير ذلك أصلاً، فمن أسمائه ما يطلق عليه باعتبار الفعل نحو الخالق والرازق والمحيي والمميت، وهذا يدل على أن أفعاله كلها خيرات محض لا شر فيها لأنه لو فعل الشر لاشتق له منه اسم، ولم تكن أسماؤه كلها حسنى، وهذا باطل، فالشر ليس إليه، فكما لا يدخل في صفاته ولا يلحق ذاته لا يدخل في أفعاله فالشر ليس إليه، لا يضاف إليه فعلاً ولا وصفاً، وإنما يدخل في مفعولاته، وفرق بين الفعل والمفعول، فالشر قائم بمفعوله المباين له، لا بفعله الذي هو فعله. فتـأمل هذا فإنه خفي على كثير من المتكلمين، وزلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام، وهدى الله أهل الحق لما اختلفوا فيه بإذنه. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أسماء الله الحسنى لا تحصر في عدد

إن الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد، فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، كما جاء في الحديث الصحيح (أسألك بكل إسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك) فجعل أسماءه ثلاثة أقسام، قسم سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم ولم ينزل به كتابه. وقسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده. وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يطلع عليه أحداً من خلقه، ولهذا قال (استأثرت به) أي انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمي به لأن هذا الإنفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها كتابه.

ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة (فيفتح عليَّ من محامده بما لا أحسنه الآن. وتلك المحامد هي تفي بأسمائه وصفاته. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأما قوله صل الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعين إسماً من أحصاها دخل الجنة[1] فالكلام جملة واحدة. وقوله من أحصاها دخل الجنة

---

(١) نص الحديث الوارد في الاسماء الحسنى مع ذكرها قال في عقيدة المسلمين للشيخ صالح البليهى: أخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر وفي لفظ من حفظها دخل الجنة. وروى الحديث الترمذي في جامعه وزاد بعد قوله يحب الوتر. هو الله الذي لا إله إلا هو. الرحمن. الرحيم. الملك. القدوس. السلام. المؤمن. المهيمن. العزيز. الجبار. المتكبر. الخالق. البارىء. المصور. الغفار. القهار. الوهاب. الرزاق. الفتاح. العليم. القابض. الباسط. الخافض. الرافع. المعز. المذل. السميع. البصير. الحكم. العدل. اللطيف. الخبير. الحليم. العظيم. الغفور. الشكور. العلي. الكبير. الحفيظ. المقيت. الحسيب. الجليل. الكريم. الرقيب. المجيب. الواسع. الحكيم. الودود. المجيد. =

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

صفة لا خبر مستقبل والمعنى له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة. وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها.

وهذا كما تقول لفلان مائة مملوك قد أعدهم للجهاد فلا ينفي هذا أن يكون له مماليك سواهم معـدون لغير الجهاد وهذا لا خلاف بين العلماء فيه.

ما يطلق على الله من الأسماء مفردا ومقترنا بغيره

إنَّ أسـماءه تعـالى منهـا ما يطلق عليه مفرداً ومقترناً بغيره وهو غالب الأسماء. فالقدير والسميع والبصير والعزيز والحكيم وهذا يسوغ أن يدعى به مفرداً ومقترناً بغيره فتقول يا عزيز يا حليم يا غفور يا رحيم، وأن يفـرد كل إسم، وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه بما يسوغ لك الإفراد والجمع.

ومنهـا ما لا يطلق عليه بمفـرده بل مقـروناً بمقابله. كالمانع والضار والمنتقم، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله فإنه مقرون بالمعطي والنافع والعفـو، فهـو المعطي المانع الضار النافع المنتقم العفو المعز المذل، لأن الكـمال في اقـتران كل إسم من هذه بما يقـابله، لأنه يراد به أنه المنفرد

= البـاعث. الشهيد. الحق. الـوكيل. القـوي المتـين. الـولي. الحميد. المحصي. المبـديء. المعيد. المحيي. المميت. الحي. القيوم. الـواجـد. المـاجـد. الواحد. الأحد. الفرد. الصمد. القادر. المقتدر. المؤخر. الأول. الآخر. الظاهر. الباطن. الـوالي. المتعال البـر. التواب. المنتقم. العفو. الرؤوف. مالك الملك ذوالجلال والإكرام. المقسط. الجامع. الغني. المغني. الضار. النافع. النور. الهادي. البديع. الباقي. الوارث. الرشيد. الصبور.

ثم قال الترمذي بعد سياق ما تقدم هذا حديث غريب. ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان. ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بالصحيح. وقال ابن كثير في كتاب التفسير والذي عول عليه جماعة من الحفاظ. ان سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالـربـوبية وتدبير الخلق، والتصرف فيهم عطاء ومنعاً ونفعاً وضراً وعفواً وانتقـاماً. وأما أن يثنى عليه بمجرد المنع والإنتقام والإضرار فلا يسوغ. فهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الإسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعددت جارية مجرى الإسم الواحد ولذلك لم تجيء مفردة ولم تطلق عليه إلا مقترنة. فاعلمه فلو قلت: يا مذل يا ضار يا مانع. وأخبرت بذلك لم تكن مثنياً عليه ولا حامداً له حتى تذكر مقابلها.

صفات الله صفات كمال محض، وأسماؤه أحسن الأسماء

إن الصفات ثلاثة أنواع. صفات كمال وصفات نقص وصفات لا تقتضي كمالاً ولا نقصاً. وإن كانت القسمة التقديرية تقتضي قسماً رابعاً، وهو ما يكـون كمالاً ونقصـاً باعتبارين. والرب تعالى منزه عن الأقسام الثلاثة، وموصوف بالقسم الأول. وصفاته كلها صفات كمال محض، فهو موصوف من الصفات بأكملها، وله من الكمال أكمله، وهكذا أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها، ولا يقـوم غيرها مقامها، ولا يؤدي معناها، وتفسير الإسم منها بغيره، ليس تفسيراً بمرادف محض، بل هو على سبيل التقريب والتفهيم، وإذا عرفت هذا فله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكلمه وأتمه معنى وأبعده وأنزهه عن شائبة عيب أو نقص، فله من صفات الإدراكات. العليم الخبير، دون العـاقـل الفقيه، والسميع البصير، دون السامع والباصر والناظر، ومن صفات الإحسان. البر الرحيم الودود، دون الرفيق والشفوق ونحوهما. وكـذلـك العـلي العـظيم، دون الرفيع الشريف، وكذلك الكريم دون السخي. والخالق البارىء المصور، دون الفاعل الصانع المشكل، والغفور العفو دون الصفوح الساتر. وكذلك سائر أسمائه تعالى يجري على نفسه منها أكملهـا وأحسنهـا، وما لا يقوم غيره مقامه. فتأمل ذلك فأسماؤه أحسن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأسماء كما أن صفاته أكمل الصفات فلا تعدل عما سمى به نفسه إلى غيره كما لا تتجاوز ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله إلى ما وصفه به المبطلون والمعطلون. انتهى ما أردت نقله من الفوائد من كلام شمس الدين ابن قيم الجوزية رحمه الله كالتكملة والشرح لما لخصته من كلامه في سبيل النجاة، في باب الأسماء والصفات. وجميع ما لخصته ونقلته من كلامه هو من الجزء الأول من بدائع الفوائد. والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حرر في ١٤٠٦/١/٣٠هـ

عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن محمد بن سحمان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المحفوظات السامية، من الكافية الشافية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم في اتباع هديه أما بعد. فإن القصيدة النونية، المسماة: الكافية الشافية، في الإنتصار للفرقة الناجية، لشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، جديرة بالحفظ والدراسة المتواصلة، لما اشتملت عليه من البراهين الساطعة، والحجج والأدلة القاطعة، بصحة اعتقاد الفرقة الناجية ودحض شبه الفرق المارقة، ولكن حال دون حفظها كلها، كثرة الشواغل والأعمال، وحيث أن ما لا يدرك كله لا يترك كله، اخترت منها أبياتاً قليلة، وهي فيما اشتملت عليه فوائد جليلة، ليسهل حفظها لي، ومن هو على شاكلتي، من أبناء جنسي، والله أسأل أن ينفعني بها ومن قرأها أو سمعها، فإنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن محمد بن سحمان
القاضي بمحكمة التمييز بالرياض

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شفاء الجهل وأقسام العلم

والجهل داء قاتل وشفاؤه ... أمران في التركيب متفقان
نص من القرآن أو من سنة ... وطبيب ذاك العالم الرباني
والعلم أقسام ثلاث مالها ... من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله ... وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثان
والكل في القرآن والسنن التي ... جاءت عن المبعوث بالفرقان
والله ما قال امرىء متحذلق ... بسواهما إلَّا من الهذيان

شهادة أن لا إله إلا الله

شهدت بأن الله جل جلاله ... متفرد بالملك والسلطان[1]
وهو الإله الحق لا معبود إلَّا ... وجهه الأعلى العظيم الشان
بل كل معبود سواه فباطل ... من عرشه حتى الحضيض الدان
وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله ... لا بالهوى والنفس والشيطان
فقيام دين الله بالإخلاص والـ ... إحسان إنهما له أصلان
لم ينج من غضب الإله وناره ... إلَّا الذي قامت به الأصلان[2]

---

(١) الأصل (شهدوا) ومراده بالذين شهدوا القرآن والسنة وفطرة الله التي فطر الناس عليها والعقل الصريح الخالي من شوائب الجهل والتقليد والتعصب. ولكن حيث لم نذكر ما قبل هذا البيت من الأبيات الدالة على هذه الأربعة طلبا للإختصار، جرى إيراد هذه الكلمة كما ذكر اعلاه لأن كل مسلم يشهد هذه الشهادة اهـ الملخص

(٢) ينج: بفتح الياء وضم الجيم، مبني للفاعل، أي لم ينج من غضب الله وناره إلا الذي قام به الإخلاص والإحسان. اهـ من شرح ابن عيسى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والـنـاس بعـد فمشرك بإلـهه أو ذو ابتـداع أو له الـوصفـان
والـله لا يرضـى بكثـرة فعلنـا لكـن بأحـسـنـه مع الإيمان
فالعـارفـون مرادهم إحسـانـه والجـاهلون عمـوا عن الإحسان

هجرة القلب

واجعـل لقلبك هجرتين ولا تنم فهـما على كل امـريء فرضـان
فالهجـرة الأولى إلى الـرحمن بالـ إخـلاص في سر وفي إعـلان
فالقصـد وجـه الله بالأقوال والـ أعـمال والـطاعـات والشكـران
فبـذاك ينجـو العبـد من إشراكه ويصـير حقـاً عابـد الـرحمـن
والهـجـرة الأخـرى إلى المبعـوث بالحق المبـين وواضـح الـبرهـان
فيدور مع قول الـرسـول وفعله نفـياً وإثـبـاتـاً بلا روغـان

توحيد الأنبياء والمرسلين

توحـيدهـم نوعـان قولي وفـعـلي كلا نوعـيه ذو برهـان
فالأول الـقـولي ذو نوعـين أيضـاً في كتـاب الـله موجـودان
إحـداهمـا سلب وذا نوعـان أيضـاً فيه حقـا فيه مذكـوران
سلب النقـائص والعيوب جميعها عنـه هما نوعـان معـقـولان
سلب لمتـصـل ومـنـفصـل هما نوعـان معـروفـان أمـا الثـاني
سلب الشريك مع الـظهـير مع الـشفيع بدون إذن الخـالق الـديان
وكذاك سلب الزوج والولد الذي نسبـوا إليه عابـدوا الصلبـان
وكـذاك نفي الكفـو أيضاً والولي لنـا سوى الـرحمن ذي الغفـران
والأول الـتـنـزيه للرحمـن عن وصف العيوب وكل ذي نقصان
كالموت والإعياء والتعب الـذي ينفي اقتـدار الخـالق الـديان
والنـوم والسنـة التي هي أصله وعـزوب شيء عنه في الأكـوان
وكـذلـك الـعبـث الـذي تنفيه حكمتـه وحمـد الله ذي الإتقـان
وكـذاك ترك الخلق إهمـالاً سدى لا يبـعـثـون إلى معـاد ثان
كلا ولا أمـر ولا نهي عليهـم من إلاه قادر ديان

وكذاك ظلم عباده وهو الغني ... فماله والظلم للإنسان
وكذاك حاجته إلى طعم ورز ... ق وهو رزاق بلا حسبان
هذا وثاني نوعي السلب الذي ... هو أول الأنواع في الأوزان
تنزيه أوصاف الكمال له عن ... التشبيه والتمثيل والنكران
لسنا نشبه وصفه بصفاتنا ... ان المشبه عابد الأوثان
كلا ولا نخليه من أوصافه ... ان المعطل عابد البهتان
من مثل الله العظيم بخلقه ... فهو النسيب لمشرك نصراني(١)
أو عطل الرحمٰن من أوصافه ... فهو الكفور وليس ذا إيمان

النوع الثاني من التوحيد القولي هو الثبوتي

هذا ومن توحيدهم اثبات أو ... صاف الكمال لربنا الرحمٰن
كعلوه سبحانه فوق السما ... وات العلى بل فوق كل مكان
فهو العلي بذاته سبحانه ... اذ يستحيل خلاف ذا ببيان
وهو الذي حقا على العرش استوى ... قد قام بالتدبير للأكوان
حي مريد قادر متكلم ... ذو رحمة وإرادة وحنان
هو أول هو آخر هو ظاهر ... هو باطن هي أربع بوزان
ماقبله شيء كذا مابعده ... شيء تعالى الله ذو السلطان
ما فوقه شيء كذا ما دونه ... شيء وذا تفسير ذي البرهان
فانظر الى تفسيره بتدبر ... وتبصر وتعقل لمعان
وانظر الى مافيه من أنواع معرفة لخالقنا العظيم الشان
وهو العلي فكل أنواع العلو ... له فثابتة بلا نكران
وهو العظيم بكل معنى يوجب ... التعظيم لا يحصيه من إنسان
وهو الجليل فكل أوصاف الجلا ... ل له محققة بلا بطلان
وهو الجميل على الحقيقة كيف لا ... وجمال سائر هذه الأكوان
من بعض آثار الجميل فربها ... أولى وأجدر عند ذي العرفان

---

(١) فهو النسيب: قال في القاموس، النسب، والنسبة بالكسر القرابة. والمناسبة المشاكلة اه والمراد هنا المشاكلة اه من شرح ابن عيسى الملخص.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فجمـالـه بالـذات والأوصـاف والأفـعـال والأسمـاء بالبـرهـان
لا شيء يشبـه ذاتـه وصفـاتـه سبحـانـه عن إفـك ذي البهتان
وهـو المجيد صفـاتـه أوصـاف تعـظيم فشـأن الـوصف أعـظم شان
وهو السميع يرى ويسمع كل ما في الكـون من سر ومن اعـلان
ولكـل صوت منـه سمع حاضر فالـسـر والإعـلان مستـويان
والسمـع منه واسع الأصوات لا يخفـى عليه بعـيدهـا والـدان
وهـو البصـير يرى دبيب النملة السـوداء تحت الصخـر والصـوان
ويرى مجاري القـوت في اعضـائهـا ويرى نياط عروقـهـا بعـيان
ويرى خيانـات العيون بلحـظها ويرى كذاك تقـلب الاجـفـان
وهـو العليم احـاط علما بالـذي في الكـون من سر ومن اعـلان
وبكـل شيء علمـه سبحـانـه فهـو المحـيط وليس ذا نسيان
وكـذاك يعلم ما يكـون غدا وما قد كان والموجود في ذا الآن
وكـذاك امـر لم يكـن لو كان كيف يكـون في الحـالات ذا امكـان

النوع الثاني من توحيد الأنبياء والمرسلين هو الفعلي

هذا وثـاني نوعي التـوحيد تو حيد العـبـادة منـك للرحمٰن
أن لا تكـون لغـيره عبـداً ولا تعـبـد بغـير شريعـة الإيمان
فتـقـوم بالإسـلام والإيمـان والإحـسـان في سر وفـي إعـلان
والصـدق والإخلاص ركنا ذلك التـوحيد كالـركـنين للبنيان
وحقيقـة الإخلاص توحيد المرا د فلا يزاحـمـه مراد ثان
لكن مراد العبـد يبقى واحـدا ما فيه تفـريق لدى الإنـسـان
ان كان ربـك واحـدا سبحـانـه فاخصصه بالتوحيد مع إحسان
ان كان ربـك واحـدا أنشـاك لم يشركـه إذ أنـشـاك رب ثان
فكـذاك أيضـا وحـده فاعبده لا تعبـد سواه يا أخـا العـرفـان
والـصـدق توحـيد الإرادة وهـو بذل الجـهـد لا كسـلا ولا متـوان
والسنـة المثلى لسـالكهـا فتـو حيد الـطريق الأعظم السلطاني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلواحدكن واحدا في واحد ... اعني سبيل الحق والإيمان
هذي ثلاث مسعدات للذي ... قد نالها والفضل للمنان
فإذا هي اجتمعت لنفس حرة ... بلغت من العلياء كل مكان

الشرك المنافي للتوحيد

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ... ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أيا ... كان من حجر ومن إنسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ... ويحبه كمحبة الديان
والله ما ساووهم بالله في ... خلق ولا رزق ولا إحسان
فالله عندهم هو الخلاق والر ... زاق مولي الفضل والإحسان
لكنهم ساووهم بالله في ... حب وتعظيم وفي إيمان
جعلوا محبتهم مع الرحمن ما ... جعلوا المحبة قط للرحمٰن
ليس العبادة غير توحيد المحبة مع خضوع القلب والأركان
والحب نفس وفاقه فيما يحب وبغض ما لا يرتضي بجنان
ووفاقه نفس اتباعك أمره ... والقصد وجه الله ذي الإحسان
هذا هو الإحسان شرط في قبول السعي فافهمه من القرآن
والإتباع بدون شرط رسوله ... عين المحال وابطل البطلان
فاذا نبذت كتابه ورسوله ... وتبعت أمر النفس والشيطان
وتخذت أنداداً تحبهم كحب الله كنت مجانب الإيمان

حماية النبي صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد

ولقد نهى ذا الخلق عن إطرائه ... فعل النصارى عابدي الصلبان
ولقد نهانا أن نصير قبره ... عيداً حذار الشرك بالرحمن
ودعا بأن لا يجعل القبر الذي ... قد ضمه وثنا من الأوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة الجدران

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حتى اغتـدت أرجـاؤه بدعـائـه في عزة وحمـاية وصـيان
ولقـد غدا عنـد الـوفـاة مصرحاً بالـلعـن يصرخ فيهـم بأذان
وعنى الأولى جعلوا القبور مساجدا وهم اليهـود وعـابـدوا الصلبـان
والـلـه لولا ذاك أبـرز قبره لكـنهـم حجـبـوه بالحـيطان
قصـدوا إلى تسـنيم حجـرتـه ليمتـنـع السجـود له على الأذقـان
قصـدوا موافقـة الرسول وقصده الـتـجـريد للتـوحـيد للرحمـن

هذه فصـول تابعـة للنـوع الثـاني من التوحيد القولي وهو الثبوتي، وقد جعلناها هنا لئلا يطول بها الفصل بين أنواع التوحيد، ولأهمية شرح الأسماء الحسنى أثبتنا ذلك كله.

فصـــل

وهـو الحميد فكـل حمد واقـع أو كان مفـروضـاً مدى الأزمـان
ملأ الـوجـود جميعـه ونـظيره من غير ما عد ولا حسـبـان
هو أهـله سبحـانـه وبحمـده كل المحامد وصف ذي الإحسان

فصـــل

وهـو المـكـلم عبـده موسـى بتـكـليم الخـطاب وقـبـله الأبـوان
كلماتـه جلت عن الإحصـاء و التعداد بل عن حصر ذي الحسبان
لو أن أشجـار البـلاد جميعها ال أقـلام تكـتـبهـا بكـل بنـان
والبحـر تلقى فيه سبعـة أبحـر لكـتـابـة الـكلمات كل زمـان
نفـدت ولم تنـفـد بها كلماتـه ليس الكـلام من الإلـه بفـان
وهـو القـدير فليس يعجـزه إذا ما رام شيئـاً قط ذو سلطان
وهـو القـوي له القـوى جمعا تعا لى رب ذي الأكـوان والأزمـان
وهـو الـغـني بذاتـه فغنـاه ذا تي له كالجـود والإحـسـان

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهـو العـزيز فلن يرام جنابـه أنَّـى يرام جنـاب ذي السلطان
وهـو العزيز القاهـر الغلاب لم يغـلبـه شيء هذه صفـتـان
وهـو العـزيز بقـوة هي وصفـه فالـعــز حينئـذٍ ثلاث معـان
وهي التي كملت له سبحـانـه من كل وجـه عادم الـنقصـان
وهـو الحكيم وذاك من أوصافه نوعـان أيضـاً ما هما عدمـان
حكـم وإحـكـام فكـل منهـما نوعـان أيضـاً ثابتـا الـبرهـان
والحـكـم شرعـي وكـوني ولا يتـلازمـان ومـا هما سيان
بل ذاك يوجـد دون هذا مفـرداً والـعكس أيضـاً ثم يجتمعـان
لن يخلو المربـوب من إحداهما أو منهـما بل ليس ينـتـفـيان
لكـنـما الشرعـي محبـوب له أبـداً ولـن يخلو من الأكـوان
هو أمـره الـديني جاءت رسلـه بقـيامـه في سائـر الأزمـان
لكـنـما الكـوني فهـو قضـاؤه في خلقـه بالعـدل والإحسـان
هو كله حق وعـدل ذو رضـى والشـأن في المقضي كل الشـان
فلذاك نرضـى بالـقـضـاء ونسـخط المقضي حين يكـون بالـعصيان
والـلـه يرضـى بالـقـضـاء ويسخـط المقضي ما الأمـران متحـدان
فقضـاؤه صفـة به قامت ومـا ال مقضي إلا صنـعـة الإنـسـان
والكـون محبـوب ومبغـوض له وكـلاهمـا بمشيئـة الـرحمن
هذا الـبيان يزيل لبسـاً طالـما هلكت عليه النـاس كل زمـان
ويحـل ما قد عقـدوا بأصولهم وبـحـوثـهم فافهمـه فهم بيان
من وافق الكـوني وافق سخـطه إن لم يوافـق طاعـة الـديان
فلذاك لا يعـدوه ذم أو فوا ت الحمـد مع أجـر ومع رضوان
ومـوافـق الـديني لا يعـدوه أجـر بل له عنـد الـصـواب اثنـان

◇ ◇ ◇

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فصـــل

والحكمة العليا على نوعين أيضاً حُصِّلا بقواطع البرهان
إحداهما في خلقه سبحانه نوعان أيضاً ليس يفترقان
إحكام هذا الخلق إذ إيجاده في غاية الإحكام والإتقان
وصدوره من أجل غايات له وله عليها حمد كل لسان
والحكمة الأخرى فحكمة شرعه أيضاً وفيها ذانك الوصفان
غاياتها اللائي حمدن وكونها في غاية الإتقان والإحسان

فصـــل

وهو الحيي فليس يفضح عبده عند التجاهر منه بالعصيان
لكنه يلقي عليه ستره فهو الستير وصاحب الغفران
وهو الحليم فلا يعاجل عبده بعقوبة ليتوب من عصيان
وهو العفو فعفوه وسع الورى لولاه غار الأرض بالسكان
وهو الصبور على أذى أعدائه شتموه بل نسبوه للبهتان
قالوا له ولد وليس يعيدنا شتماً وتكذيباً من الإنسان[1]
هذا وذاك بسمعه وبعلمه لو شاء عاجلهم بكل هوان
لكن يعافيهم ويرزقهم وهم يؤذونه بالشرك والكفران

---

(١) إشارة لما ورد في الصحيح انه ﷺ قال قال الله تعالى: كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته واما شتمه اياي فقوله ان لي ولدا وأنا الواحد الأحد الفرد الصمد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

وهـو الـرقيب على الخواطر واللوا حظ كيف بالأفعـال بالأركـان
وهـو الحفيظ عليهم وهـو الكفيل بحفـظهم من كل أمـر عان
وهـو الـلطيف بعبـده ولعبـده والـلطف في أوصـافه نوعـان
إدراك أسرار الأمـور بخـبرة واللطف عند مواقع الإحسان
فيريك عزتـه ويبـدي لطفـه والعبد في الغفلات عن ذا الشان

فصـــل

وهـو الرفيق يحب أهل الرفق بل يعـطيهم بالـرفق فوق أمـان
وهـو الـقـريب وقـربـه المختص بالـداعي وعـابـده على الإيمان
وهـو المجيب يقـول من يدعـو أجبـه أنـا المجيب لكـل من ناداني
وهـو المجيب لدعـوة المضـطر إذ يدعـوه في سر وفي إعـلان
وهـو الجـواد فجـوده عم الـوجـود جميعـه بالـفضـل والإحسـان
وهـو الجـواد فلا يخيِّب سائـلاً ولـو انـه من أمـة الـكفـران
وهـو المغيث لكـل مخلوقـاتـه ولـذا يحب إغـاثـة الـلهفـان

فصـــل

وهـو الـودود يحبـهم ويحبـه أحبـابـه والـفضـل للمنـان
وهـو الـذي جعـل المحبة في قلو بهم وجـازاهـم بحـب ثان
هذا هو الإحسـان حقـاً لامعـا وضـة ولا لتـوقـع الـشكـران
لكن يحب شكـورهم وشكورهم لا لاحتيـاج منـه للشكـران(١)
وهـو الشكور فلن يضيع سعيهم لكـن يضـاعفـه بلا حسبـان
ما للعـبـاد عليه حق واجـب هو أوجب الأجر العظيم الشان
كلا ولا عمـل لديه ضائـع إن كان بالإخـلاص والإحسـان
إن عذبـوا فبعـدلـه أو نعمـوا فبـفـضـله والحـمـد للمنـان

---

(١) لكن يحب شكـورهم وشكـورهم: الأول بفتح الشين اسم فاعل من شكر يشكر شكرا، والثاني بضم الشين مصدر م هـ ش ابن عيسى.

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فصـــل

وهـــو الغفـــور فلو أتى بقـرابهـا ... من غير شرك بل من الـعـصيان
لأتـــاه بالـــغـفـــران ملأ قرابهـــا ... سبحـــانـــه هو واســـع الغفـران
وكـــذلـك التـواب من أوصـافـه ... والتـــوب في أوصـــافـــه نوعـــان
إذنٌ بتـــوبـــة عبـــده وقـبـــولهـــا ... بعـــد المتـــاب بمـنـــة المـنـــان

فصـــل

وهـو الإلـه السيد الصمد الذي ... صمـــدت إليه الخلق بالإذعـــان
الكامل الأوصاف من كل الوجو ... ه كمالـــه ما فيه من نقـــصـــان
وكـــذلـك القهـار من أوصـافـه ... فالخلق مقـهـــورون بالـسلطان
لو لم يكـــن حياً عزيزاً قادراً ... ما كان من قهـــر ولا سلطان
وكـــذلـــك الجبار من أوصـافـه ... والجـبر في أوصـــافـــه قســـمان
جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ... ذا كسرة فالجـبر منـه دان
والثـاني جبر القهـر بالعـز الـذي ... لا ينـبـغـي لســواه من إنســـان
ولـــه مســمـى ثالث وهـــو العلو ... فليس يدنـــو منـــه من إنســـان
من قولهـــم جبـــارة للنـخـلة الـ ... عليا الـــتي فاتـت لكـــل بنـــان

فصـــل

وهـــو الحسيب كفـــاية وحمـــاية ... والحسب كافي العبـــد كل أوان
وهـــو الـــرشيد فقـــولـه وفعـالـه ... رشـــد وربـك مرشـــد الحـيران
وكـــلاهمـــا حق فهـــذا وصفـــه ... والفعـــل للإرشـــاد ذاك الثـــاني
والعـــدل من أوصـــافـه في فعله ... ومـقـــالـــه والحـكـــم بالميزان
فعـــلى الصراط المـستقيم إلهنـــا ... قولاً وفـعـــلاً ذاك في الـقـــرآن

---

(١) لعل الأصل فافهم ذان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصل

هذا ومن أوصافه القدوس ذو التنزيه بالتعظيم للرحمن
وهو السلام على الحقيقة سالم من كل تمثيل ومن نقصان
والبر في أوصافه سبحانه هو كثرة الخيرات والإحسان
صدرت عن البر الذي هو وصفه فالبر حينئذٍ له نوعان
وصف وفعل فهو بر محسن مولي الجميل ودائم الإحسان
وكذلك الوهاب من أسمائه فانظر مواهبه مدى الازمان
أهل السموات العلى والأرض عن تلك المواهب ليس ينفكان
وكذلك الفتاح من أسمائه والفتح في أوصافه أمران
فتح بحكم وهو شرع إلهنا والفتح بالأقدار فتح ثان
والرب فتاح بذين كليهما عدلاً وإحساناً من الرحمن
وكذلك الرزاق من أسمائه والرزق من أفعاله نوعان
رزق على يد عبده ورسوله نوعان أيضاً ذان معروفان
رزق القلوب العلم والإيمان والرزق المعد لهذه الأبدان
هذا هو الرزق الحلال وربنا رزاقه والفضل للمنان
والثاني سوق القوت للأعضاء في تلك المجاري سوقه بوزان
هذا يكون من الحلال كما يكون من الحرام كلاهما رزقان
والله رازقه بهذا الإعتبا ر وليس بالإطلاق دون بيان

◇ ◇ ◇

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

هذا ومـــن أوصـــافـــه الـــقـــيوم والـــقـــيوم في أوصـــافـــه أمـــران
إحـــداهمـــا الـقيوم قام بنفســـه والـــكـــون قام به هما الأمـــران
فالأول اســـتـــغـــنـــاؤه عن غيره والـفـقـــر من كل إلـيه الـثـــاني
والـــوصـف بالقيوم ذو شأن كذا موصـــوفـــه أيضـاً عظيم الشـان
والحـي يتـلوه فأوصـــاف الكـــما ل هما لأفـــق سمائـــهـــا قطبـــان
والحـــي والـــقـــيوم لن يتـــخـــلف الأوصـــاف أصـــلاً عنهـــما ببـــيان
هو قابض هو باسط هو خافض هو رافـــع بالـــعـــدل والمـــيزان
وهـــو المعـــز لأهـــل طاعته وذا عز حقـــيقـــي بلا بطلان
وهـــو المـــذل لمن يشـــاء بذلـــة الـــدارين ذل شقـــا وذل هوان
هو مانـــع معط فهـــذا فضـــله والمنـــع عين الـعـــدل للمنـــان
يعـطي برحمتـه ويمنـع من يشـا ء بحـكـمـة والـله ذو سلطان

◇ ◇ ◇

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

والنـور من أسمائه أيضاً ومن أوصافه سبحان ذي البرهان
قال ابن مسعود كلاماً قد حكا ه الدارمي عنه بلا نكران
ما عنده ليل يكون ولا نها ر قلت تحت الفلك يوجد ذان
نور السموات العلى من نوره والأرض كيف النجم والقمران
من نور وجه الرب جلَّ جلاله وكذا حكاه الحافظ الطبراني
فبه استنار العرش والكرسي مع سبع الطباق وسائر الأكوان
وكتابه نور كذلك شرعه نور كذا المبعوث بالفرقان
وكذلك الإيمان في قلب الفتى نور على نور مع القرآن
وحجابه نور فلو كشف الحجا ب لأحرق السبحات للأكوان
وإذا أتى للفصل يشرق نوره في الأرض يوم قيامة الأبدان
وكذاك دار الرب جنات العلى نور تلألأ ليس ذا بطلان
والنور ذو نوعين مخلوق ووصف ماهما والله متحدان[1]
وكذلك المخلوق ذو نوعين محسوس ومعقول هما شيئان
أحذر تزل فتحت رجلك هوة كم قد هوى فيها على الأزمان
من عابد بالجهل زلت رجله فهوى إلى قعر الحضيض الداني

---

(١) النور: من اسمائه جل جلاله ومن أوصافه الذي هو وصفه العظيم فإنه ذو الجلال والإكرام وذو البهاء والهيبة والسبحات. وهذا النور ملازم لذاته لايفارقها ولا يحل بمخلوق تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. واما النور المخلوق فهو نوعان: حسي، ومعنوي: فالحسي كنور الشمس والقمر والكواكب وسائر المخلوقات المدرك نورها بالأبصار.
والمعنوي: نور المعرفة والإيمان والطاعة في قلوب المؤمنين بحسب ما قام في قلوبهم من حقائق المعرفة وحلاوة الطاعة وسرور المحبة: اهـ الملخص

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فصل

وهو المقدم والمؤخر ذانك ... الصفتان للأفعال تابعتان[1]
وهما صفات الذات أيضاً إذ هما ... بالذات لا بالغير قائمتان
ولذاك قد غلط المقسِّم حين ظن ... صفاته نوعان مختلفان
إن لم يرد هذا ولكن قد أرا ... د قيامها بالفعل ذي الإمكان
والفعل والمفعول شيء واحد ... عند المقسم ما هما شيئان
فلذاك وصف الفعل ليس لديه ... إلا نسبة عدمية ببيان
فجميع أسماء الفعال لديه ليـ ... ـست قط ثابتة ذوات معان
موجودة لكن أمور كلها ... نسب ترى عدمية الوجدان
هذا هو التعطيل للأفعال كا ... لتعطيل للأوصاف بالميزان
فالحق أن الوصف ليس بمورد ... التقسيم هذا مقتضى البرهان
بل مورد التقسيم ما قد قام بالـ ... ـذات التي للواحد الرحمن
فهما إذاً نوعان أوصاف وأفـ ... ـعال فهذا قسمة التبيان
فالوصف بالأفعال يستدعي قيا ... م الفعل بالموصوف بالبرهان
كالوصف بالمعنى سوى الأفعال ما ... إن بين ذينك قط من فرقان
ومن العجائب أنهم ردوا على ... من أثبت الأسماء دون معان
قامت بمن هي وصفه هذا محا ... ل غير معقول لذي الأذهان

---

(١) ذكر الناظم رحمه الله تعالى ان من اسماء الله الحسنى المقدم والمؤخر وهما ايضا من اوصافه العلية. قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: ان صفات الأفعال التي منها هذه الأسماء، كلها متعلقة وصادرة عن هذه الصفات الثلاث: القدرة الكاملة، والمشيئة النافذة، والحكمة الشاملة التامة: وهي كلها قائمة بالله، والله متصف بها، لا كما ظنه اهل الكلام الباطل ان الفعل هو عين المفعول، وانه لم يقم بالله منها وصف فهذا مخالف للعقل والنقل، وقول متناقض في نفسه، فإن الآثار تدل على المؤثر، كما أن الوصف يدل على الأثر اهـ باختصار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأتوا إلى الأوصاف باسم الفعل قا لوا لم تقم بالواحد الديان
فانظر إليهم أبطلوا الأصل الذي ردوا به أقوالهم بوزان
إن كان هذا ممكناً فكذاك قو ل خصومكم أيضاً فذو إمكان
والوصف بالتقديم والتأخير كو نيٌّ ودينيٌّ هما نوعان[1]
وكلاهما أمر حقيقي ونسبي ولا يخفى على الأذهان
والله قدر ذاك أجمعه باحكام واتقان من الرحمن

(١) التقديم والتأخير الكوني، كتقديم بعض المخلوقات على بعض وتأخير بعضها عن بعض، وكتقديم الأسباب على مسبباتها والشروط على مشروطاتها، ويكون شرعيا، كتفضيل الأنبياء على الخلق وفضل بعضهم على بعض وفضل بعض عباده على بعض حيث قدمهم في العلم والإيمان والعمل والأخلاق وسائر الأوصاف، واخر من اخر منهم بشيء من ذلك وكل هذا تبع لحكمته تعالى اهـ ملخص من شرح العلامة ابن سعدي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فصـــل

هذا ومـــن أســـمائـــه ما ليس يفـــرد بل يقـــال إذا أتـــى بقـــران
وهي التي تدعى بمـــزدوجـــاتهـــا إفـــرادهـــا حظر على الإنـســـان
إذ ذاك موهـم نوع نقص جلَّ ر ب العرش عن عيب وعن نقصان
كالمـانـع المعـطي وكالضار الذي هو نافـــع وكـــمالـــه الأمـــران
ونـــظير هذا القـــابض المقـــرون باسم البـــاسط اللفـــظان مقـــترنـــان
وكـذا المعـز مع المـذل وخـافض مع رافـــع لفـــظان مزدوجـــان
وحـديث إفـراد اسم منتقم فمـو قوف كما قد قال ذو الـعـــرفـــان
ما جاء في الـــقـــرآن غير مقـــيد بالمجـــرمـــين وجـا بذا نوعـان[1]

---

(١) قال العلامة ابن سعدي رحمه الله : واعلم ان المصنف رحمه الله قد استوفى معظم شرح الأسماء المذكورة في الكتاب شرحا جامعا مختصرا كما تقدم ، وما لم يذكره فإنه ذكر نظيره من الأسماء الحسني او ما يدل عليه ويستلزمه ، فإنه لم يذكر (المتين) وهو داخل في (القوي القدير) . ولم يذكر (الأعلى) وهو في معنى (البرّ الجواد الوهاب) ولم يذكر (الرب والملك والمالك) وقد ذكر في البدائع انها متضمنة لكثير من الأسماء الحسنى فقال : الرب هو القادر الخالق الباري المصور الحي القيوم السميع العليم البصير المحسن المنعم الجواد المعطي المانع الضار النافع الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء ويسعد من يشاء ويشقي من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنى . واما (المِلك) فهو الآمر الناهي المعز المذل الذي يُصرِف امور عباده كما يحب ويقلبهم كما يشاء ، وله من معنى المِلك ما يستحقه من الأسماء الحسنى كالعزيز الجبار المتكبر الحكم العدل الخافض الرافع المعز المذل العظيم الجليل الكبير الحسيب المجيد الوالي المتعالي مالك الملك المقسط الجامع إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى الملك . واما (الإله) فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال ، فقد دخل في هذا الإسم جميع الأسماء الحسنى ولهذا كان القول الصحيح ان الله اصله الإله وان اسم الله هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى والله اعلم اهـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

ودلالــة الأسـماء أنــواع ثلا　　　ث كلهـا معـلومـة ببـيان
دلـت مطابـقـة كذاك تضـمنـاً　　　وكـذا التـزاماً واضح الـبرهـان
أمـا مطابـقـة الـدلالـة فهـي أن الإسـم يفـهـم منـه مفهــومـان
ذات الإلـه وذلك الوصف الذي　　　يشــتـق منـه الإسـم بالميزان
لكـن دلالـتـه على إحـداهمـا　　　بتـضـمـنٍ فافـهـمـه فهـم بيان
وكـذا دلالتـه على الصفـة التي　　　ما اشـتـق منهـا فالـتـزام دان
وإذا أردت بذا مثـالاً بينـاً　　　فمـثـال ذاك لفـظة الـرحمـن
ذات الإلـه ورحمـة مدلـولهـا　　　فهـما لهذا الـلفظ مدلـولان
إحــداهمـا بعض لذا المـوضـوع فهـي تضـمـن ذا واضـح الـتبيان
لكــن وصـف الحـي لازم ذلـك المـعـنـى لزوم الـعـلم للرحمـن
فلذا دلالـــتـه عليه بالــتـزا　　　م بين والحـق ذو تبـيان

◇ ◇ ◇

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصـــل

في بيان حقيقة الإلحاد في أسماء رب العالمين، وذكر انقسام الملحدين

أســماؤه أوصــاف مدح كلهــا مشــتــقــة قد حملت لمعــان
إياك والإلحــاد فيهــا إنــه كفــر معــاذ الــله من كفــران
وحــقيقــة الإلحــاد فيهــا الميل بالإشراك والــتعــطيل والــنكــران
فالملحــدون إذاً ثلاث طوائف فعليهم غضب من الــرحمن
المشركــون لأنهم سمــوا بها أوثــانهم قالــوا إلــهٰ ثان
هم شبهــوا المخلوق بالخــلاق عكس مشبــه الخــلاق بالإنســان
وكــذاك أهــل الإتحــاد فإنهم إخــوانهم من أقــرب الإخــوان
عطوا الــوجــود جميعــه أسمــاءه إذ كان عين الــله ذي الــسلطان
والمشركــون أقــل شركــاً منهم هم خصصوا ذا الإسم بالأوثان
ولــذاك كانــوا أهل شرك عندهم لو عممــوا ما كان من كفــران
والملحد الثاني فذو التعطيل إذ ينــفي حقــائقهــا بلا برهــان
ما ثم غير الإســم أولــه بما ينفي الحقيقــة نفي ذي بطلان
فالــقــصــد دفــع الــنص عن معنى الحقيقــة فاجتهــد فيه بلفظ ثان
هذا وثــالــثهم فنــافيهــا ونــا في ما تدل عليه بالــبــهــتــان
ذا جاحــد الــرحمــن رأســا لم يقــر بخــالــق أبــداً ولا رحمــن
هذا هو الإلحــاد فاحــذره لعــل الــله أن ينــجــيك من نيران
وتــفــوز بالــزلــفى لديه وجنــة المــأوى مع الغفــران والــرضــوان

إيضاح ما عليه أهل السنة والجماعة من الإعتقاد، أورده الناظم رحمه الله في معرض (تحميل أهل الإثبات للمعطلين، شهادة تؤدى عند رب العالمين)

ياأيهــا البــاغي على أتبــاعــه بالــظلم والــبهتــان والعــدوان
قد حملوك شهــادة فاشــهــد بها إن كنــت مقبــولاً لدى الــرحمن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واشهـد عليهم إن سئلت بأنهم قالـوا إلـهُ العـرش والأكـوان
فوق السموات العلى حقاً على العرش استوى سبحان ذي السلطان
والأمـر ينـزل منـه ثم يسـير في الأقـطار سبحـان العظيم الشان
وإليه يصعـد ما يشـاء بأمـره من طيبـات القـول والشكران
وإليه قد صعـد الرسول وقبله عيسى بن مريم كاسر الصلبان
وكذلك الأملاك تصعد دائماً من هاهنـا حقـاً إلى الديان
وكـذاك روح العبد بعد مماته ترقـى إلـيه وهـو ذو إيمان
واشهـد عليهم أنـه سبحـانه متـكـلم بالـوحي والقـرآن
سمـع الأمـين كلامـه منه وأ داه إلى المبعـوث بالفـرقـان
هو قول رب العـالمـين حقيقة لفـظا ومعنى ليس يفـترقـان
واشهـد عليهم أنـه سبحـانه قد كلم المـولـود من عمـران
سمع ابن عمران الرسول كلامه منـه إلـيه مسـمـع الآذان
واشهـد عليهم أنهم قالـوا بأن الـله ناداه بلا كتـمان
واشهـد عليهم أنهم قالـوا بأن الـله نادى قبـله الأبـوان
واشهـد عليهم أنهم قالـوا بأن الـله يسـمـع صوتـه الثقـلان
والـله قال بنـفسـه لرسـولـه إني أنـا الـله العـظيم الشـان
والـله قال بنـفسـه لرسـولـه إذهب إلى فرعـون ذي الـطغيان
والـله قال بنـفـسـه حم مع طه ومـع يس قول بيان
واشـهـد عليهـم أنهم وصفـوا الإلـهُ بكـل ما قد جاء في الـقـرآن
وبكـل ما قال الـرسـول حقيقـة من غير تحريف ولا عدوان
واشـهـد عليهـم ان قول نبيهم وكـلام رب العـرش ذا التبيان
نص يفـيد لديهـم علم الـيقـين إفـادة المـعـلوم بالـبرهـان
واشـهـد عليهـم أنهم قد قابلوا الـتـعـطيل والتمثيل بالنكـران
إن المـعـطل والممـثـل ما هما متـيقـنـين عبـادة الـرحمـن
ذا عابـد المعـدوم لا سبحـانـه أبـداً وهـذا عابـد الأوثـان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

واشهـد عليهم أنهم قد أثبتـوا الأسـماء والأوصـاف للديان
وكـذلـك الأحكام أحكام الصفا ت وهـذه الأركـان للإيمان
قالـوا عليم وهـو ذو علم ويعـلم غاية الإسرار والإعـلان
وكـذا بصـير وهـو ذو بصر ويبصر كل مرئـي وذي الأكـوان
وكـذا سمـيع وهـو ذو سمـع ويسـمـع كل مسـمـوع من الأكـوان
متـكـلم ولـه كلام وصـفـه ويكلم المخصـوص بالـرضـوان
وهـو القـوي بقـوة هي وصفـه وعليك يقـدر يا أخـا السلطان
وهـو المـريد له الإرادة هكـذا أبـداً يريد صنـائـع الإحسـان
والـوصـف معـنـى قائـم بالـذات والأسـماء أعـلام له بوزان
أسـماؤه دلـت على أوصـافـه مشتقـة منهـا اشتقـاق معـان
وصفـاتـه دلت على أسـمائـه والـفـعـل مرتبط به الأمـران[1]
والحـكـم نسبتهـا إلى متعلقـا ت تقتضي آثارها ببيان[2]
ولـربـما يعنى به الإخبـار عن آثـارهـا يعـنـى به أمـران[3]
والفعـل إعـطاء الإرادة حكمهـا مع قدرة الـفعـال والإمكـان[4]
فإذا انتفت أوصـافـه سبحـانـه فجـمـيع هذا بين الـبـطلان[5]

---

(١) قوله: والفعل مرتبط به الأمران: أي الفعل وهو كونه يعلم ويقدر ويريد ويسمع ويبصر الخ. له ارتباط بكل من الإسم والصفة جميعا فهو يعلم لأنه عليم وذو علم، ويقدر لأنه قدير وذو قدرة وهكذا

(٢) قوله: والحكم نسبتها إلى متعلقات الخ: أي نسبة العلم إلى المعلومات التي هي متعلقاته بحيث تصير معلومة بالفعل بذلك العلم هو ما يسمى بالحكم وكذلك تعلق الإرادة بالمرادات والسمع بالمسموعات

(٣) قوله: ولربما يعنى به الخ أي قد يراد بالحكم الإخبار عن آثار الصفة كقولنا الله يعلم كذا ويريد كذا فهو معلوم لله وهذا مراد لله

(٤) قوله والفعل إعطاء الخ أي تعلقها بالمراد مع شرط في الفاعل وهو القدرة على ابراز ذلك المراد وشرط في المراد نفسه وهو أن يكون ممكنا

(٥) قوله فإذا انتفت الخ أي اذا قيل بانتفاء صفاته تعالى كما تقوله المعتزلة لم يمكن اثبات الأسماء والأحكام اهـ ملخص من شرح شيخنا الهراس

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

واشـهـد عليهـم أنهم قالـوا بهذا كله جهـراً بلا كتـمان
واشـهـد عليهـم أنهم برآء من تأويل كل محرف شيطان
واشـهـد عليهـم أنهم يتـأولـو ن حقيقـة التـأويل في القـرآن
هم في الحقيقة أهل تأويل الذي يعـنى به لا قائـل الهـذيان
واشـهـد عليهـم أن تأويلاتهم صرف عن المرجـوح للرجحـان
واشهـد عليهم أنهم حملوا النصو ص على الحقيقة لا المجاز الثاني
إلا إذا ما اضـطرهـم لمجـازهـا المـضـطر من حس ومـن برهـان
فهنـاك عصمتهـا إبـاحتـه بغـير تجانف للإثـم والـعـدوان[1]
واشهـد عليهم أنهم لا يكفـرو نكـم بما قلتم من الـكـفـران
إذ أنتم أهـل الجهـالـة عنـدهم لسـتـم أولي كفـر ولا إيمان
لا تعـرفـون حقيقـة الكفران بل لا تعـرفـون حقـيقـة الإيمان
إلا إذا عانـدتـم ورددتـم قول الـرسـول لأجـل قول فلان
فهنـاك أنتم أكفـر الثقلين من إنس وجـن ساكـني الـنـيران
واشهـد عليهم أنهم قد أثبتـوا الأقـدار واردة من الـرحمـن
واشهـد عليهم أن حجـة ربهم قامـت عليهم وهـو ذو غفـران
واشـهـد عليهم أنهم هم فاعلو ن حقيقـة الـطاعـات والعصيان
والجـبر عنـدهـم محال هكـذا نفـي القضـاء فبئست الـرأيان
واشهـد عليهم أن إيمان الـورى قول وفـعـل ثم عقـد جنـان
ويزيد بالـطاعـات قطعـاً هكـذا بالضـد يمْسي وهـو ذو نقصـان
والـله ما إيمان عاصـينـا كإيمان الأمـين منـزل الـقـرآن
كلا ولا إيمان مؤمـنـنـا كإيمان الـرسـول معـلم الإيمان
واشـهـد عليهـم أنهم لم يخلدوا أهـل الـكـبـائـر في حميم آن

---

(١) راجع شرح ابن عيسى على هذا البيت وماقبله

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بل يخرجون بإذنه بشفاعة ... وبدونها لمساكن بجنان
واشهد عليهم أن ربهم يرى ... يوم المعاد كما يرى القمران
واشهد عليهم أن أصحاب الرسو ... ل خيار خلق الله من إنسان
حاشا النبيين الكرام فإنهم ... خير البرية خيرة الرحمن
وخيارهم خلفاؤه من بعده ... وخيارهم حقاهما العمران
والسابقون الأولون أحق بالتقديم ممن بعدهم ببيان
كل بحسب السبق أفضل رتبة ... من لاحق والفضل للمنان

تفصيلات مهمات، كالشرح لبعض ما تقدم من الإعتقادات

القرآن كلام الله غير مخلوق

وكذلك القرآن عين كلامه المسموع منه حقيقة ببيان
هو قول ربي كله لا بعضه ... لفظا ومعنى ما هما خلقان
تنزيل رب العالمين وقوله ... اللفظ والمعنى بلا روغان
لكن أصوات العباد وفعلهم ... كمدادهم والحرق مخلوقان
فالصوت للقاري ولكن الكلا ... م كلام رب العرش ذي الإحسان
هذا إذا ما كان ثم وساطة ... كقراءة المخلوق للقرآن
فإذا انتفت تلك الوساطة مثلما ... قد كلم المولود من عمران
فهنالك المخلوق نفس السمع لا ... شيء من المسموع فافهم ذان

ما يعنى بالتلاوة واللفظ بالقرآن

فعليك بالتفصيل والتمييز فالإطلاق والإجمال دون بيان
قد أفسدا هذا الوجود وخبطا الأذهان والآراء كل زمان
وتلاوة القرآن في تعريفها ... باللام قد يعنى به شيئان
يعنى به المتلو فهو كلامه ... هو غير مخلوق كذي الأكوان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويراد أفعال العباد كصوتهم وأدائهم وكلاهما خلقان[1]
هذا الذي نصت عليه أئمة الإسلام أهل العلم والعرفان
وهو الذي قصد البخاري الرضى لكن تقاصر قاصر الأذهان
عن فهمه كتقاصر الأفهام عن قول الإمام الأعظم الشيباني[2]
في اللفظ لما أن نفى الضدين عنه واهتدى للنفي ذو عرفان[3]
فاللفظ يصلح مصدراً هو فعلنا كتلفظ بتلاوة القرآن
وكذاك يصلح نفس ملفوظ به وهو القرآن فذان محتملان
فلذاك أنكر أحمد الإطلاق في نفي وإثبات بلا فرقان

التفريق بين ما يضاف الى الرب تعالى من الأوصاف والأعيان

والله أخبر في الكتاب بأنه منه ومجرور بمن نوعان
عين ووصف قائم بالعين فالأعيان خلق الخالق الرحمن
والوصف بالمجرور قام لأنه أولى به في عرف كل لسان
ونظير ذا أيضاً سواء ما يضا ف إليه من صفة ومن أعيان
فإضافة الأوصاف ثابتة لمن قامت به كإرادة الرحمن
وإضافة الاعيان ثابتة له ملكاً وخلقاً ما هما سيان
فانظر إلى بيت الإله وعلمه لما أضيفا كيف يفترقان

---

(١) يعني ان لفظ (التلاوة اذا اطلق قد يراد به المتلو وهو القرآن نفسه كلام الله فمن قال انه مخلوق فهو جهمي. وقد يراد به المصدر وهو فعل العبد كصوته وأدائه وهو مخلوق فمن جعل شيئا من افعال العباد غير مخلوق فهو مبتدع

(٢) الشيباني: هو امام اهل السنة والجماعة احمد بن حنبل رحمه الله

(٣) قال أحمد من قال اللفظ أو لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال انه غير مخلوق فهو مبتدع. وذلك لأن اللفظ. يراد به مصدر لفظ يلفظ لفظا، ومسمى هذا فعل العبد وفعل العبد مخلوق ويراد باللفظ القرآن الذي يلفظ به اللافظ وذلك كلام الله لا كلام القاريء. اهـ الملخص

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكـلامـه كحياتـه وكـعلمـه | في ذي الإضافة إذ هما وصفان
لكـن ناقـتـه وبـيت إلٰهنا | فكـعـبـده أيضـاً هما ذا ثان
فانـظر إلى الجـهـمـي لما فاتـه الحق المبين وواضح الـفـرقـان
كان الجـمـيع إليه بابـاً واحـداً | والـصـبـح لاح لمن له عينـان

استواء الله على العرش، ومعاني الإستواء

العرش عرش الرب جل جلاله | والـلام للمعهـود في الأذهـان
وعليه رب العـالمين قد استوى | حقـاً كما قد جاء في الـقـرآن
وكذا استوى الموصول بالحرف الذي | ظهـر المراد به ظهـور بيان
لا فيه إجمـال ولا هو مفـهـم | للإشـتراك ولا مجاز ثان
تركيبه مع حرف الاستعلاء نص | في الـعـلو بوضـع كل لسـان
فإذا تركب مع إلى فالقصـد مع | معـنـى الـعلو لوضـعـه ببيان
وإلى السـماء قد استوى فمقيد | بتـمام صنعتهـا مع الإتقـان
لكن على العرش استوى هو مطلق | من بعـدهـا قد تم بالأركـان
لكنـما الجـهـمي يقصر فهمـه | عن ذا فتـلك مواهب المنـان
فإذا اقـتـضى واو المعية كان معنـاه استـوى متقـدم والـثـاني
فإذا أتـى من غير حرف كان معـنـاه الـكـمال فليس ذا نقـصـان
لا تلبسـوا بالبـاطـل الحق الذي | قد بين الـرحمن في الفـرقـان
وعـلا للاستعـلاء فهي حقيقـة | فيه لدى أربـاب هذا الـشـان

عبارات أهل السنة في تفسير (استوى)

فلهـم عبـارات عليهـا أربـع | قد حصلت للفـارس الـطعـان
وهي استقـر وقد علا وكذلك ار | تفـع الـذي ما فيه من نكـران
وكـذاك قد صعد الذي هو رابع | وأبـو عبيدة صاحب الشيبـاني
يختـار هذا الـقـول في تفسيره | أدرى من الجـهـمي بالـقـرآن

الجديد و طرح NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فوقية الرحمن وعلوه واستواؤه بالذات

والـله أكـبر قاهـر فوق العبـا ... د فلا تضـع فوقـية الـرحمـن
من كل وجـه تلك ثابـتـة له ... لا تهضمـوهـا يا أولى البهتـان
قهـراً وقـدراً واستـواء الـذات فو ... ق العـرش بالـبرهـان والفـرقـان
فبـذاتـه خلق السمـوات العـلى ... ثم استـوى بالـذات فافهم ذان
فضـمـير فعـل الإستـواء يعـود للذات التي ذكـرت بلا فرقـان
هو ربنـا هو خالـق هو مستـو ... بالـذات هذي كلهـا بوزان

خلق العرش قبل القلم

والنـاس مختلفون في القلم الذي ... كتـب الـقضـاء به من الـديان
هل كان قبل العرش أو هو بعده ... قولان عنـد أبي العـلا الهمـداني
والحق أن العـرش قبـل لأنـه ... قبـل الكتـابـة كان ذا أركـان
وكتـابـة القلم الشريف تعقبت ... إيجـاده من غير فصـل زمـان
لما براه الـله قال اكـتـب كذا ... فغـدا بأمـر الـله ذا جريان
فجـرى بما هو كائـن أبـداً إلى ... يوم المـعـاد بقـدرة الـرحمـن

أسباب حياة القلب

وحياة قلب المـرء في شيئين من ... يرزقـهـما يحيا مدى الأزمـان
في هذه الـدنيا وفي الأخرى يكو ... ن الحي ذا الـرضـوان والإحسان
ذكـر الإلـه وحـبـه من غير إشراك به وهمـا فمـمـتـنـعـان
من صاحب التعطيل حقاً كامتنا ... ع الـطائـر المقصوص من طيران
أيحـبـه من كان ينكـر وصفـه ... وعـلوه وكـلامـه بقـران
لا والذي حقاً على العرش استوى ... متـكـلماً بالـوحـي والـفـرقـان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أسباب النجاة من عذاب الله

يا من تعز عليهم أرواحهم ... ويرون غبناً بيعها بهوان
ويرون خسراناً مبيناً بيعها ... في إثر كل قبيحة ومهان
ويرون ميدان التسابق بارزاً ... فيتاركون تقحم الميدان
ويرون أنفاس العباد عليهم ... قد أحصيت بالعد والحسبان
ويرون أن أمامهم يوم اللقا ... لله مسئلتان شاملتان
ماذا عبدتم ثم ماذا قد أجبتم ... من أتى بالحق والبرهان
هاتوا جواباً للسؤال وهيئوا ... أيضاً صواباً للجواب يدان
وتيقنوا أن ليس ينجيكم سوى ... تجريدكم لحقائق الإيمان
تجريدكم توحيده سبحانه ... عن شركة الشيطان والأوثان
وكذاك تجريد اتباع رسوله ... عن هذه الآراء والهذيان
والله لا ينجي الفتى من ربه ... شيء سوى هذا بلا روغان

بعض المخلوقات المستثنات من الفناء وحالة الأرواح بعد الموت

والعرش والكرسي لا يفنيهما ... أيضاً وإنهما لمخلوقان
والحور لا تفنى كذلك جنة المأوى وما فيها من الولدان
والأنبياء فإنهم تحت الثرى ... أجسامهم حفظت من الديدان
ما للبلى بلحومهم وجسومهم ... أبداً وهم تحت التراب يدان
وكذاك عجب الظهر لا يبلى بلى ... منه تركب خلقة الإنسان
وكذلك الأرواح لا تبلى كما ... تبلى الجسوم ولا بلى اللحمان
فالشأن للأرواح بعد فراقها ... أبدانها والله أعظم شان
إما عذاب أو نعيم دائم ... قد نعمت بالروح والريحان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وتصير طيراً سارحاً مع شكلها تجني الثمار بجنة الحيوان
وتظل واردة لأنهار بها حتى تعود لذلك الجثمان
لكن أرواح الذين استشهدوا في جوف طير أخضر ريان
فلهم بذاك مزية في عيشهم ونعيمهم للروح والأبدان
بذلوا الجسوم لربهم فأعاظم أجسام تلك الطير بالإحسان
ولها قناديل إليها تنتهي مأوى لها كمساكن الإنسان
فالروح بعد الموت أكمل حالة منها بهذي الدار في جثمان
وعذاب أشقاها أشد من الذي قد عاينت أبصارنا بعيان
والقائلون بأنها عرض أبو ذا كله تباً لذي النكران

كيفية البعث والنشور

وإذا أراد الله إخراج الورى بعد الممات إلى المعاد الثاني
ألقى على الأرض التي هم تحتها والله مقتدر وذو سلطان
مطراً غليظاً أبيضاً متتابعاً عشراً وعشراً بعدها عشران
فتظل تنبت منه أجسام الورى ولحومهم كمنابت الريحان
حتى إذا ما الأم حان ولادها وتمخضت فنفاسها متدان
أوحى لها رب السما فتشققت فبدا الجنين كأكمل الشبان
وتخلت الأم الولود وأخرجت أثقالها أنثى ومن ذكران
والله ينشيء خلقه في نشأة أخرى كما قد جاء في القرآن
هذا الذي جاء الكتاب وسنة الهادي به فاحرص على الإيمان

صفة الجنة التي أعدها الله لأوليائه بفضله ومنه

فاسمع إذاً أوصافها وصفات ها تيك المنازل ربة الإحسان
هي جنة طابت وطاب نعيمها فنعيمها باق وليس بفان
دار السلام وجنة المأوى ومنزل عسكر الإيمان والقرآن
فالدار دار سلامة وخطابهم فيها سلام واسم ذي الغفران

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين

درجـاتهـا مائـة ومـا بين اثـنـتـين فذاك في الـتـحـقيق للحسبـان
مثـل الـذي بين السماء وبـين هذي الأرض قول الصـادق الـبرهـان
لكـن عالـيهـا هو الـفـردوس مسـقـوف بعـرش الخـالـق الـرحمن
وسط الجنـان وعلوهـا فلذاك كا نت قبـة من أحسـن الـبنـيان
منـه تفـجـر سائـر الأنهار فالمـنـبـوع منـه نازل بجـنـان

أبواب الجنة

أبـوابهـا حقـاً ثمانـية أتـت في النص وهي لصاحب الإحسان
باب الجهـاد وذاك أعـلاهـا وبـا ب الصـوم يدعى الباب بالريان
ولـكـل سعي صالـح باب ور ب السعي منـه داخـل بأمـان
ولسـوف يدعى المرأ من أبـوابها جمعـاً إذا أوفى حلى الإيمان
منهم أبـو بكـر هو الصـديق ذا ك خليفـة المـبعـوث بالقـرآن

مفتاح باب الجنة

هذا وفتـح البـاب ليس بممكن إلا بمـفـتـاح على أسـنـان
مفتـاحـه بشهـادة الإخـلاص و الـتـوحيد تلك شهـادة الإيمان
أسـنـانـه الأعـمال وهـي شرائـع الإسـلام والمـفـتـاح بالأسـنـان
لا تلغـين هذا المـثـال فكم به من حل إشكـال لذي العـرفـان

منشور الجنة الذي يوقع به لصاحبها

هذا ومن يدخـل فليس بداخـل إلاَّ بتـوقـيع من الـرحمـن
وكـذاك يكتب للفتى لدخـولـه من قبـل توقيعـان مشهـوران

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إحداهما بعد الممات وعرض أر واح العباد به على الديان
فيقول رب العرش جل جلاله للكاتبين وهم أولو الديوان
ذا الإسم في الديوان يكتب ذاك ديوان الجنان مجاور المنان
ديوان عليين أصحاب القرا ن وسنة المبعوث بالقرآن
فإذا انتهى للجسر يوم الحشر يعطى للدخول إذاً كتاباً ثان
عنوانه هذا كتاب من عزيز راحم لفلان ابن فلان
فدعوه يدخل جنة المأوى التي ارتفعت ولكن القطوف دوان
هذا وقد كتب اسمه مذ كان في الأرحام قبل ولادة الإنسان
بل قبل ذلك وهو وقت القبضتين كلاهما للعدل والإحسان
سبحان ذي الجبروت والملكوت والإجلال والإكرام والسبحان
والله أكبر عالم الأسرار والإعلان واللحظات بالاجفان
والحمد لله السميع لسائر الأصوات من سر ومن إعلان
وهو الموحد والمسبح والممجد والحميد ومنزل القرآن
والأمر من قبل ومن بعد له سبحانك اللهم ذا السبحان

أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم

هذا وأعلاهم فناظر ربه في كل يوم وقته الطرفان
لكن أدناهم وما فيهم دني إذ ليس في الجنات من نقصان
فهو الذي تلفى مسافة ملكه بسنيننا ألفان كاملتان
فيرى بها أقصاه حقاً مثل رؤ يته لأدناه القريب الداني
أوما سمعت بأن آخر أهلها يعطيه رب العرش ذي الغفران
أضعاف دنيانا جميعاً عشر أمثال لها سبحان ذي الإحسان

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عدد الجنات وأجناسها

والجنة اسم الجنس وهي كثيرة جداً ولكن أصلها نوعان
ذهبيتان بكل ما حوتاه من حلي وآنية ومن بنيان
وكذاك أيضاً فضة ثنتان من حلي وبنيان وكل أوان
لكن دار الخلد والمأوى وعد ن والسلام إضافة لمعان
أوصافها استدعت إضافتها إليها مدحة مع غاية التبيان
لكنما الفردوس أعلاها وأو سطها مساكن صفوة الرحمن
أعلاه منزلة لأعلى الخلق منزلة هو المبعوث بالقرآن
وهي الوسيلة وهي أعلى رتبة خلصت له فضلاً من الرحمن

بناء الجنة

وبناؤها اللبنات من ذهب وأخرى فضة نوعان مختلفان
وقصورها من لؤلؤ وزبرجد أو فضة أو خالص العقيان
وكذاك من در وياقوت به نظم البناء بغاية الإتقان
والطين مسك خالص أو زعفرا ن جا بذا أثران مقبولان
ليسا بمختلفين لا تنكرهما فهما الملاط لذلك البنيان

أرضها وحصابؤها وتربتها

والأرض مرمرة كخالص فضة مثل المرات تناله العينان[1]
في مسلم تشبيهها بالدرمك الصافي وبالمسك العظيم الشان
هذا لحسن اللون لكن ذا لطيب الريح صار هناك تشبيهان

---

(١) المرات: اي المرآت: وسهل الهمزة لوزن الشعر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حصباؤها در وياقوت كذا ... ك لآلىء نثرت كنثر جمان
وترابها من زعفران أو من المسك الذي ما استل من غزلان

صفة غرفاتها

غرفاتها في الجو ينظر بطنها ... من ظهرها والظهر من بطنان
سكانها أهل القيام مع الصيا ... م وطيِّب الكلمات والإحسان
ثنتان خالص حقه سبحانه ... وعبيده أيضاً لهم ثنتان[1]

الجنة قيعان

وغراسها الكلم الطيب والعمل الصالح

أوما سمعت بأنها القيعان فاغرس ما تشاء بذا الزمان الفان
وغراسها التسبيح والتكبير والتهليل والتوحيد للرحمن
تباً لتارك غرسه ماذا الذي ... قد فاته في مدة الإمكان
يا من يقر بذا ولا يسعى له ... بالله قل لي كيف يجتمعان
أرأيت لو عطلت أرضك من غرا ... س، ما الذي تجني من البستان
وكذاك لو عطلتها من بذرها ... ترجو المغل يكون كالكيمان
ما قال رب العالمين وعبده ... هذا فراجع مقتضى القرآن
وتأمل الباء التي قد عينت ... سبب الفلاح لحكمة الفرقان
وأظن باء النفي قد غرتك في ... ذاك الحديث أتى به الشيخان
لن يدخل الجنات أصلاً كادح ... بالسعي منه ولو على الأجفان
والله ما بين النصوص تعارض ... والكل مصدرها من الرحمن
لكن بالإثبات للتسبيب والباء التي للنفي بالأثمان
والفرق بينهما ففرق ظاهر ... يدريه ذو حظ من العرفان

---

(٢) خالص حقه سبحانه: إدامة الصيام، والصلاة بالليل والناس نيام أما الثنتان من حق العباد: فهما إفشاء السلام، وإطعام الطعام

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الخاتمة في النصيحة

يأأيها الرجل المريد نجاته ... إسمع مقالة ناصح معوان
كن في أمورك كلها متمسكاً ... بالوحي لا بزخارف الهذيان
وانصر كتاب الله والسنن التي ... جاءت عن المبعوث بالفرقان
وتعر من ثوبين من يلبسهما ... يلقى الردى بمذمة وهوان
ثوب من الجهل المركب فوقه ... ثوب التعصب بئست الثوبان
وتحلَّ بالإنصاف أفخر حلة ... زينت بها الأعطاف والكتفان
واجعل شعارك خشية الرحمن مع ... نصح الرسول فحبذا الأمران
وتمسكن بحبله وبوحيه ... وتوكلن حقيقة التكلان
والحق منصور وممتحن فلا ... تعجب فهذي سنة الرحمن
وبذاك يظهر حزبه من حربه ... ولأجل ذاك الناس طائفتان
ولأجل ذاك الحرب بين الرسل والكفار مذ قام الورى سجلان
لكنما العقبى لأهل الحق إن ... فاتت هنا كانت لدى الديان
واجعل لقلبك هجرتين ولا تنم ... فهما على كل امريء فرضان
فالهجرة الأولى إلى الرحمن بالـ ... إخلاص في سرٍ وفي إعلان
فالقصد وجه الله بالأقوال والأعمال والطاعات والشكران
فبذاك ينجو العبد من إشراكه ... ويصير حقاً عابد الرحمن
والهجرة الأخرى إلى المبعوث بالحق المبين وواضح البرهان
فيدور مع قول الرسول وفعله ... نفياً وإثباتاً بلا روغان
واسمع نصيحة من له خبر بما ... عند الورى من كثرة الجولان
ما عندهم والله خير غير ما ... أخذوه عمن جاء بالقرآن
والكل بعد فبدعة أو فرية ... أو بحث تشكيك ورأي فلان
فاصدع بأمر الله لا تخش الورى ... في الله واخشاه تفز بأمان
واهجر ولو كل الورى في ذاته ... لا في هواك ونخوة الشيطان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

واصبر بغير تسخط وشكاية ... واصفح بغير عتاب من هو جان
واهجرهم الهجر الجميل بلا أذى ... إن لم يكن بد من الهجران
وانظر إلى الأقدار جارية بما ... قد شاء من غي ومن إيمان
واجعل لقلبك مقلتين كلاهما ... بالحق في ذا الخلق ناظرتان
فانظر بعين الحكم وارحمهم بها ... اذ لا ترد مشيئة الديان
وانظر بعين الامر واحملهم على ... احكامه فهما اذا نظران
واجعل لقلبك مقلتين كلاهما ... من خشية الرحمن باكيتان
لو شاء ربك كنت أيضاً مثلهم ... فالقلب بين أصابع الرحمن
واحذر كمائن نفسك اللاتي متى ... خرجت عليك كسرت كسر مهان
وإذا انتصرت لها فأنت كمن بغى ... طفي الحريق بموقد النيران
والله أخبر وهو أصدق قائل ... أن سوف ينصر عبده بأمان
من يعمل السوءى سيجزى مثلها ... أو يعمل الحسنى يفز بأمان
هذي وصية ناصح ولنفسه ... وصى وبعد سائر الإخوان

وبهذه الوصية الجميلة انتهى ما أخترته من المحفوظات. وذلك في اليوم الثامن من شهر ربيع الأول من سنة ست واربعمائة وألف من الهجرة النبوية. والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا (أن الحمد لله رب العالمين).

قال ذلك وكتبه بقلمه الفقير إلى المنان عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن محمد بن سحمان غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

٦/٣/١٤٠٦هـ

★ ★ ★ ★ ★

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهرس كتاب تحفة المقتصدين

الصفحة	الموضوع
٣	الخطبة
٤	ما يحصل به كمال الإنسان
٤	أجل وأفضل أقسام الناس في العبادة والإستعانة
٦	معنى التوكل والإستعانة
٦	متى يكون العبد متحققاً (إياك نعبد) وأقسام الناس في ذلك
١١	أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص
١٤	الصراط المستقيم في منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها
١٦	الحكمة في خلق الجن والإنس وأصل العبادة ومتى تتحقق
١٨	القواعد التي بني عليها (إياك نعبد) وتفصيلها
١٩	أقسام العبودية لله
١٩	مراتب إياك نعبد علماً وعملاً
٢٠	القواعد الخمس عشرة التي تدور عليها رحى العبودية
٢٠	عبوديات القلب
٢٤	عبوديات اللسان
٢٥	عبوديات الجوارح وتفصيلها
٣٠	منازل العبودية التي ينتقل فيها القلب منزلة منزلة في سيره إلى الله
٣٠	اليقظة . العزم . الفكرة
٣١	البصيرة ومراتبها
٣٥	القصد وصدق الإرادة . العزم الجازم
٣٥	المحاسبة . التوبة . معنى تنقل القلب في سيره إلى الله
٣٦	أنواع السالكين في هذه المقامات
٣٧	منزل التوبة من السائر إلى الله
٣٨	أقسام الناس عند سماع القرآن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣٩ تحقيق معنى أحقية كلمته سبحانه العذاب على الكافرين
٣٩ بصيرة العبد بنفسه وبحقوق ربه من أجل أنواع المعارف
٤٠ سيد الإستغفار وبيان معناه
٤١ العقبات السبع التي يريد الشيطان الظفر بالعبد منها
٤٦ أقسام الناس مع الأسباب والقوى والطبائع والصواب في ذلك
٤٧ فرضية التوبة على الفور، ووجوب التوبة من تأخيرها
٤٨ صفة التوبة من حق الآدمي
٤٩ معنى تبديل السيئات حسنات بالتوبة
٥٢ حقيقة التوبة في كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم
٥٣ إقتران الاستغفار بالتوبة وعدم ذلك
٥٤ التوبة النصوح وحقيقتها
٥٦ توبة الله على عبده قبل توبة العبد وبعدها
٥٧ أجناس ما يتاب منه، وذكرها إجمالاً
٥٧ الكفر الأكبر والأصغر
٥٧ الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكافرين وبيان ذلك
٥٩ أنواع الكفر الأكبر
٦٠ أنواع كفر الجحود
٦١ الشرك الأكبر والأصغر. بيان الشرك الأكبر
٦٣ بيان الشرك الأصغر
٦٤ النفاق الأكبر والأصغر
٦٥ علامات المنافقين
٦٦ صفات المنافقين
٦٩ الفسوق وأقسامه
٦٩ فسوق الإعتقاد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٧١ الإثم والعدوان عند الإنفراد وعند الإقتران
٧٢ الفحشاء والمنكر.
٧٣ القول على الله بلا علم
٧٥ كيفية التوبة لمن تعذر عليه أداء الحق الذي فرط فيه
٧٥ توبة من ترك الصلاة عمداً من غير عذر. من غصب أموالا وتعذر عليه الرد إلى أصحابها ولا إلى ورثتهم فكيف توبته
٧٦ اللقطة إذا لم يجد ربها ولم يرد تملكها
٧٦ مملوك هرب من سيده وهو صغير ولم يطلع على خبر عن سيده ويطلب براءة ذمته
٧٧ كيفية براءة الذمة من عوض المحرم. توبة من اختلط ماله الحلال والحرام
٧٨ المال المغصوب الموروث من له حق المطالبة به وكيف يتخلص منه بالتوبة
٧٨ نتاج المال المغصوب عند الغاصب من يستحقه
٨٠ إذا تاب القاتل وسلّم نفسه فقتل قصاصاً فهل يبقى للمقتول عليه حق، وبيان الصواب في هذه المسألة
٨٠ مشاهد الخلق في المعصية. ذكر هذه المشاهد على سبيل الإجمال
٨١ مشهد(١) الحيوانية وقضاء الشهوة
٨٣ مشهد(٢) رسوم الطبيعة ولوازم الخلقة.
٨٤ مشهد (٣) أصحاب الجبر
٨٥ مشهد(٤) القدرية النفاة
٨٦ مشهد(٥) الحكمة
٨٧ مشهد(٦) التوحيد
٨٨ مشهد(٧) التوفيق والخذلان
٨٩ مشهد(٨) الأسماء والصفات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٩٢ مشهد(٩) زيادة الإيمان وتعدد مشاهده
٩٦ مشهد(١٠) الرحمة
٩٧ مشهد(١١) العجز والضعف
٩٩ مشهد(١٢) الذل والانكسار والخضوع والافتقار
١٠١ مشهد(١٣) العبودية والمحبة
١٠٣ الإنابة وعلامتها وأنواعها. المنيب
١٠٤ الخمسة المفسدة للقلب. ذكرها مجملاً
١٠٥ المفسد الأول، كثرة الخلطة
١٠٧ المفسد الثاني، ركوبه بحر التمني
١٠٨ المفسد الثالث: التعلق بغير الله تبارك وتعالى
١٠٩ المفسد الرابع: الطعام
١١٠ المفسد الخامس: كثرة النوم
١١١ الإعتصام. أنواع الإعتصام. معنى الاعتصام
١١١ مدار السعادة الدنيوية والأخروية
١١٢ تمثيل القلب في سيره إلى الله بالطائر
١١٢ الخشوع في الصلاة
١١٢ هل يعتد بصلاة من لم يخشع في صلاته
١١٢ أدلة من قال لا يعتد بها في أحكام الدنيا إذا غلب عليه عدم الخشوع
١١٥ أدلة من قال يعتد بها في أحكام الدنيا
١١٦ ترجيح القول الأخير

★ ★ ★

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس سبيل النجاة

الصفحة
١١٩ خطبة الكتاب
١٢٠ أهدى سبيل وأقوم طريق في باب الأسماء والصفات ودليله
١٢١ الدليل على أن مذهب السلف الصالح ما ذكر
١٢١ إجابة الإمام مالك لمن سأله عن كيفية الإستواء وكفايتها في جميع الصفات
١٢١ إجماع العلماء على أن ما ذكر مذهب السلف الصالح
١٢٢ مذهب السلف الصالح في الصفات
١٢٢ العروة الوثقى في معرفة ما تمتاز به الأسماء الحسنى والصفات العلى
١٢٣ إطلاق الإسم والصفة على الله وما يشتق من ذلك
١٢٤ التحقيق في الأسماء التي تطلق على الله وعلى العباد
١٢٥ الخاتمة في معرفة الإلحاد في أسماء الله تعالى

فهرس الفوائد التي هى كالشرح لسبيل النجاة

١٢٨ معنى تأويل الصفات، وإمرارها كما جاءت
١٢٨ قول السلف في نزول الرب جل جلاله كل ليلة إلى السماء الدنيا
١٢٩ أسماء الله وصفاته حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة
١٣٠ نزول الله وقربه وجلاله ومحاسبته لخلقه في ساعة واحدة
١٣٣ أقسام ما يجري صفة أو خبراً على الرب تبارك وتعالى
١٣٤ متى تدخل صفات السلب المحض في صفات الله
١٣٥ من المهمات في باب الأسماء والصفات
١٣٦ أسماء الله الحسنى لا تحصر في عدد
١٣٦ - ١٣٧ في الحاشية نص الحديث الوارد في عدد الأسماء الحسنى
١٣٧ ما يطلق عليه من الأسماء مفرداً
١٣٨ صفات الله صفات كمال محض، وأسماؤه أحسن الأسماء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهرس المحفوظات السامية من الكافية الشافية

١٤٣ خطبة الكتاب
١٤٤ شفاء الجهل، وأقسام العلم، وشهادة أن لا إله إلا الله
١٤٥ هجرة القلب
١٤٥ توحيد الأنبياء والمرسلين
١٤٦ النوع الثاني من التوحيد القولي هو الثبوتي
١٤٧ النوع الثاني من توحيد الأنبياء والمرسلين هو الفعلي
١٤٨ الشرك المنافي للتوحيد
١٤٨ حماية النبي صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد
١٤٩ شرح الأسماء الحسنى في فصول عديدة
١٥٠ الحكم الشرعي والحكم الكوني
١٥٠ الفرق بين القضاء والمقضي، وأنواع الحكمة
١٥٢ أنواع لطف الله
١٥٣ أنواع جبر الله
١٥٤ أنواع رزق الله
١٥٦ في الحاشية الفرق بين النور الذي هو من أسماء الله وأوصافه، والنور المخلوق
١٥٩ الأسماء المزدوجة الممنوع إفراد شيء منها عن مقابله
١٦٠ أنواع دلالة الأسماء
١٦١ حقيقة الإلحاد في أسماء الله، وأقسام الملحدين
١٦٢ إيضاح ما عليه أهل السنة والجماعة من الإعتقاد
١٦٥ تفصيلات مهمات كالشرح لبعض ما أجمل من الإعتقادات
١٦٥ القرآن كلام الله غير مخلوق وتفصيل مهم في ذلك
١٦٥ ما يعنى بالتلاوة واللفظ في القرآن

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٦٦ التفريق بين ما يضاف إلى الرب تعالى من الأوصاف والأعيان
١٦٧ إستواء الله على العرش ومعاني الإستواء
١٦٧ عبارات أهل السنة في تفسير (استوى)
١٦٨ فوقية الرحمن وعلوه واستواءه بالذات، خلق العرش قبل القلم
١٦٨ - ١٦٩ أسباب حياة القلب، وأسباب النجاة من عذاب الله
١٦٩ بعض المخلوقات المستثناة من الفناء، وحالة الأرواح بعد الموت
١٧٠ كيفية البعث والنشور
١٧٠ - ١٧١ صفة الجنة التي أعد الله لأوليائه بفضله ومنه، وعدد درجات الجنة
١٧١ أبواب الجنة، ومفتاح باب الجنة
١٧١ منشور الجنة الذي يوقع به لصاحبها
١٧٢ أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم
١٧٣ عدد الجنات وأجناسها
١٧٣ - ١٧٤ بناء الجنة، وأرضها وحصباؤها وتربتها، وصفة غرفاتها
١٧٤ الجنة قيعان، وبيان غراسها
١٧٥ الخاتمة في النصيحة

* * * * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المؤلف في سطور

* ١٣٤١هـ: ولد في مدينة العمار من بلد الأفلاج من أبوين كريمين عبدالعزيز بن محمد بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر من قبيلة خثعم من بلاد عسير، وأمه فاطمة بنت علي بن الشيخ حمد بن عتيق رحمهم الله.

* ١٣٤٧هـ: بدأ دراسته على والده إذ كان والده رحمه الله هو معلم القرآن والحافظ لكتاب الله فكان من بين من حفظ القرآن على والده وجد واجتهد في طلب العلم وملازمة العلماء في الأفلاج ثم في الرياض.

* ١٣٥٥هـ: سافر إلى الرياض والتحق بمجالس العلم في مسجد الشيخ وتلقى أغلب علومه من العلماء منهم المفتي الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم وأخيه العلامة الشيخ عبداللطيف بن ابراهيم والشيخ سعود بن رشود والشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ عبدالله بن محمد بن حميد.

* ١٣٧١هـ: التحق بالمعاهد العلمية ودرس في الدراسات العليا بكلية الشريعة وتخرج مع أول فوج من خريجي كلية الشريعة بالرياض عام ١٣٧٦هـ.

* ١٣٧٦هـ: رشح للقضاء في محكمة الرياض الكبرى بعد أن كان ملازما بها لمدة ثلاثة أشهر.

* ١٣٧٩هـ: كلف بالقضاء في محكمة الأفلاج، وأمضى في الأفلاج ثلاثة عشر عاما.

* ١٣٩٢هـ: انتقل الى محكمة الدلم وعمل بها رئيساً للمحكمة لمدة سبع سنوات.

* ١٣٩٩هـ: عين قاضي تمييز في الرياض ولا زال على رأس العمل متمتعاً بكامل قواه ومداركه العلمية، زاده الله تقوى وايماناً.

طبع الكتاب بواسطة وكالة الفرقان ص.ب ٢١٤٤١ الرياض ١١٤٧٥ ت ٤٠١٤٦٧١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة